أولا ..

الكنيسة

أصل معناها ومغزاها

أصل وفصل كلمة كنيسة

المفترض أساسا فى الكنيسة أنها **مكان للصلاة** فقط ، ولكن الملاحظ أنها إدارة تامة لها موظفين يعملون لجمع ولاء الأتباع (شعب الكنيسة) . فهى أشبه بدولة ـ أو مجلس دولة ـ لها إداراتها ومؤسساتها الدينية . وسلطاتها على أتباعها ظاهرة وباطنة . ظاهرة على أجساد العباد وباطنة على نفوسهم وأرواحهم . منذ لحظة مولدهم وإلى وفاتهم ، فمن غير طريقها لن يدخل الأتباع فى دين يسوع المسيح [1] ولا فى راحة الآخرة ولن يروا الفردوس الأعلى ولن تُغْفَر لهم ذنوبهم إلا عن طريق كهنة الكنيسة ..!!

ولإحكام السيطرة على شعب الكنيسة دِينا ودُنيا اجتمعت المجامع وأصدرت قوانين للإيمان المسيحى عبر التاريخ ، مَن يحيد عنها يُفصَل مِن الكنيسة ويموت (مشلوحا) كافرا طريدا مِن رحمة الرَّب يسوع . ومِن ثَمَّ فقد تم إحكام القبضة على الناس عن طريق قوانين الإيمان والأسرار الكنسية .

ومِن المعلوم أنَّ أصول المسيحية كلها يونانية اللغة ، فلا توجد ورقة واحدة مِن أى مخطوطة مسيحية مكتوبة بلغة المسيح ابن مريم عليه السلام وقومه أى باللغة الآرامية ذات اللسان العربى القديم . ومِن هنا يتقيد بحثنا بإجراء عمليات الاقتراب الآرامية للنصوص اليونانية . ولكن قبل الشروع فى ذلك أسأل نفسى وقارئى الكريم : مِن أين جاءتهم كلمة **كنيسة** العربية ..!؟

بنظرة مُتفحِّصَة إلى الأناجيل نرى المسيح ابن مريم عليه السلام يؤدى عبادته لله هو وأتباعه مِن المؤمنين فى المعبد المُكرَّس للعبادة حسب شريعة التوراة . ولم يكن فى عصره ما يُطلق عليه كنيسة ولم يبن كنيسة يُصلى فيها هو وأتباعه مِن المؤمنين بدعوته . بل بيَّنَ لأتباعه أنَّ المعبد الذى يجب أن يُصلَّى فيه يُسَمَّى **بيتا**

---

(١) .. والأمر الغريب أنه لا يوجد اسم للدين الذى جاء به يسوع مذكور فى الأناجيل وكتابات العهد الجديد كلها ..!! راجع كتابى " الدين الذى جاء به المسيح عليه السلام " .

للصلاة حيث قال : " أما كتب أنَّ بيتى **بيتا للصلاة** يُدْعى عند جميع الأمم " (إنجيل مرقس ١١ : ١٧) .

وحسب القواعد المتفق عليها فى علم الإيتومولوجى - علم تتبع تاريخ الكلمات اللغوية ومعانيها عبر التاريخ - فإنَّ كلمة **كنيسة** لم توجد إلا فى اللسان العربى . وكنائس الشام والعراق واليمن القديمة شاهدة على ذلك . فكان علماء المسلمين المؤرخين فى القرون الأولى يذكرون كلمة **كليسيا** أثناء نقلهم من كتب أهل الكتاب ، مثل قولهم جاء فى " تاريخ كليسيا " ويقصدون تاريخ الكنيسة . فذكروا الكلمة اليونانية (اكليسيا) بعد تعريبها بواسطة علماء النصرانية .

ولا أعلم متى دخلت كلمة كنيسة إلى العربية . ولكن هناك شاهد تاريخى قوى نجده فى قصة أبرهة بن الأشرم وأصحاب الفيل ، حيث بَنَى للعرب فى صنعاء اليمن معبدا نصرانيا ضخما وأطلق عليه بالعربية الفصحى اسم **قُلَّيْس** ليحج إليه العرب بدلا من كعبة مكة ، فذكر **قُلَّيْس** ولم يذكر كنيسة ، وتلك أقدم وأصح ترجمة عربية لكلمة اكّليسيا اليونانية ، حيث تحولت الكاف اليونانية المُشدَّدة - المكررة - إلى القاف العربية ..!!

ويغلب على ظنى أن كلمة **كنيسة** ظهرت أولا فى الحبشة ثم انتشرت فى بلاد العرب بعد ذلك ، حيث نسمع بها فى روايات مَن هاجر إليها من الصحابة رضوان الله عليهم . فى أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ كلمة **كنيسة** فقالت إحداهن رأيت **كنيسة** بأرض الحبشة عليها تصاوير فقال رسول الله ﷺ أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره **مسجدا** وصوره أولئك شرار الخلق عند الله .

أمَّا عن الكلمة اليونانية المستعملة فى العهد الجديد فهى **اكّلسيا** أو **اكّليزيا** حسب دقة النطق - والتى تم تعريبها باليمن قبل الإسلام إلى **قُلَّيْس** - فهى تختلف كثيرا فى معناها العام والخاص عن كلمة كنيسة العربية حسب اشتقاقاتها اللغوية .

كما أنَّ كلمة كنيسة التى يذكرونها فى الأناجيل ترجع فى تاريخها إلى ما قبل ولادة المسيح بقرون عِدَّة ، فكان للإمبراطور يوليوس قيصر **اكلسيا** أى كنيسة

- وهى بمثابة مجلس يتخذ فيه أعضاؤه قوانين البلاد وتشريعاتها - وتلك الكنيسة اليونانية **اكلّسيا** وُجِدَت من قبل المسيح بمائة سنة تقريبا ..!!

فعندما كانت الحكومة اليونانية الوثنية تريد أن تصدر تشريعا أو قانونا جديدا ، كانت تدعو لعقد مجمع - **اكلّسيا** - (وهى الكلمة اليونانية التى ترجموها إلى كنيسة فى العربية) لإصدار القوانين والتشريعات . فكلمة اكلّسيا اليونانية ليست مكانا للعبادة فى أصلها وليس فيها هذا المعنى - بيت للصلاة - لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما هى **مَجْمَع** وثنى لمن كانوا مُؤهلين لإصدار القوانين والتشريعات الجديدة التى تخص البلاد .

أمَّا عن الترجمة العربية الفصيحة قبل الإسلام لمكان العبادة النصرانى فهو **قُلَّيْس** [1] الذى يحمل فى طيات تركيبه اللغوى معنى القِلال (ق ل ل) التى يتعبَّد فيها الرهبان . والقلال هى المرتفعات الجبلية المنعزلة حيث ينقطع فيها الرهبان للعبادة بعيدا عن الناس . ونجد ذلك المصطلح فى كتب التاريخ النصرانى القديم وبعض الكتب التى تتكلم عن سِيَر الرهبان ووصف قِلالهم ، وإن تحولت الكلمة حديثا إلى قلاَّية وقلاَّيات بدلا من قلال ..!!

أمَّا بخصوص حرف السين فى آخر كلمة **قُلَّيْس** فهو ليس من أصل الكلمة وإنما هو لا حقة إعراب يونانية تُرِكَت للدلالة على تعريب الكلمة وللإشارة إلى أنها معربة عن اليونانية ..!!

ونعود إلى كلمتنا **كنيسة** لنبحث فيها وعنها ..

يُحاول مسيحيو الشام العرب أن يُرجعوا أصل كلمة **كنيسة** فى اشتقاقها إلى الجذر الآرامى (ك ن ش) ومنه الفعل (كَنِشْ) بمعنى جمع وجماعة أو مجموعة من الناس . والكنيسة عندهم بمعنى جماعة المؤمنين . والجذر كنش فى العربية معناه قريب من جهة وبعيد من جهات أخرى .

---

(١) .. القليس اسم للكنيسة التى بناها أبرهة بن الأشرم لنصارى اليمن وأراد أن يفرض الحج إليها على العرب . فكانت حملته المشهورة على بيت الله الحرام وقصة أصحاب الفيل .

فالكناشة هى جمع الأوراق التى تُجْعَل كالدفتر يقيد فيه الشارد والوارد . ومنه قالوا كناشة النوادر أى مجموعة من النوادر ، كما فعل العلامة عبد السلام هارون فى مقال له فى احدى مجلات مجمع اللغة العربية تحت عنوان " كناشة الدكان " فذكر مجموعة من النوادر اللغوية [1] ..!!

والكناشة هى الأصول التى تتشعب منها الفروع . كما أنَّ الكنش هو تليين رأس السواك الخشن فيقال كنشه بعد خشونته [2] ..!!
ولكن النصارى والمسيحيين [3] لم يقولوا كناشة أو حتى كنيشة وإنما قالوا كنيسة بالسين . وهذا يدل على عدم صحة الاشتقاق المذكور .

أمَّا عن مادة كنس العربية بفتح الكاف ففيها معنى الاستتار والاختفاء . فيقال تكَنَّسَ الرجل أى استتر ودخل خيمته ، وتكَنَّسَت المرأة أى استترت ودخلت هودجها . ونقل الزبيدى فى كتابه (تاج العروس بشرح القاموس) عن أبى عمرو قوله : الكنيسة هى المرأة الحسناء [4] .
قلت : وربما مِن ذلك المعنى الأخير الذى قال به الزبيدى جاء قولهم فى وصف الكنيسة بأنها " عروس المسيح " ..!!

والكَناس والكَنيس بفتح الكاف هو المكان الذى يتعبَّد فيه اليهود أصلا . واشتهرت كلمة **كَنيس** كمعبد لليهود وكَنيسة (مؤنث كنيس) كمعبد للنصارى . ولا تزال كلمة **كِنيست** - بكسر الحرف الأول للدلالة على الأصل الآرامى وبالتاء المفتوحة - تستخدم فى إسرائيل للدلالة على المجلس الذى يتخذ القرارات والتشريعات فى الدولة ، مما قد يدل على أنَّ كلمة كنيسة عربية الأصل وليست بترجمة يونانية لكلمة اكلسيا . وقد حاول أحد الباحثين المسيحيين العرب أن يشتق أصل كلمة كنيسة مِن الجذر (كنس) فقال إنَّ معناه (جمع و دعا) . ولكن ذلك

---

(١) .. مجلة مجمع اللغة العربية ج ٥٦ مايو ١٩٨٥ م الموافق شعبان ١٤٠٥ هـ .
(٢) .. تاج العروس ج ٤ ص ٣٤٧ .
(٣) .. النصارى غير المسيحيين (راجع البيان والتفصيل فى كتبى السابقة) .
(٤) .. تاج العروس ج ٤ ص ٢٣٥ .

المعنى لا يتأتى إلا بضم الكاف وفتح النون فنقول **كُنَاسَة** أى جمع القمامة ..!!

وهناك سرّ فى تأنيث **الكنيس** اليهودى إلى **الكنيسة** النصرانية نجده فى كتب العهد الجديد . حيث زعم الأوائل أنّ **يسوع الخروف** الذى ذبح على الصليب فداء لهم وخلاصا للبشرية هو **العريس** ، وأنه سيرجع ليجد عروسه الجميلة الكنيسة " **عروس الخروف** " (سفر الرؤيا ١٩ : ٦ ـ ٩) . والعريس هو يسوع والعروس هى الكنيسة . وقطعا لن يكون الكنيس المذكر هو عروس يسوع فأنثوه وقالوا كنيسة ..!!

إنّ كلمة **اكّلسيا** (εκκλησιαν) اليونانية معناها العام " جماعة من الناس لهم سلطة اصدار القوانين والتشريعات " . ومع أنها أصبحت كلمة مسيحية صرفة إلا أنها وُجدت فى العالم الوثنى اليونانى قبل المسيحية . فقد كانت تطلق فى العالم اليونانى على كل مجموع المواطنين فى المدينة الحرة . كذلك كانت تطلق على كل فريق من المواطنين يدعى للاشتراك فى اتخاذ القرارات فى المناقشات العامة . فلا توجد أى علاقة لغوية بين معنى كلمة اكلسيا اليونانية وبين الدين أو العبادة أو بيت الصلاة .

وهذه الكلمة اكلسيا (εκκλησιαν) مكونة من ثلاثة مقاطع لواصق معناها مجتمعة هو (نادى – مِن – إلى) . بمعنى نادى أحدهم مِن أجل أن يترك مكانه ويأتى إلى هنا ، وهذا المعنى هو المسجل فى العهد الجديد فى أغلب الأحيان ومن هنا كان قولهم أنّ الكنيسة تجمعهم ومِن ثمّ تُرسِلهم إلى يسوع المسيح بواسطة الاعتراف بخدمة الأسرار ، وبمساندة التعاليم الكهنوتية .

زعموا أنّ يسوع هو أول من استعمل كلمة (الكنيسة) حيث خاطب بطرس قائلاً : "على هذه الصخرة ابنى **كنيستى** (εκκλησιαν) وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " (متى ١٦ : ١٨) . والموجود بالأصل اليونانى لإنجيل متى هى الكلمة اكّلسيا (εκκλησιαν) بتشديد الكاف أى تكرارها وليست كنيسة بتخفيف الكاف ، والمسيح عليه السلام لم يتكلم اليونانية .

فما هى الكلمة التى نطق بها المسيح بلسانه الآرامى ..!!؟ هل هى كلمة كنيسة أم كنيس أم معبد أم بيعة أم مسجد ..!؟ وهل بنى كنيسته **على بطرس** أم على نفسه أم على صخرة الإيمان أم على الحجر الذى رفضه البناؤون ..!!؟
وهل كان بطرس هو الحجر الذى رفضه البناؤون أم كان صخرة تعيق البناء ..!؟
فاللغة اليونانية هى التى أبعدت الناس عن فهم كلمات وأقوال المسيح ابن مريم عليه السلام الآرامية .

قارئى الكريم .. لقد استوفيت الإجابة على الأسئلة السابقة بأدلة صريحة ظاهرة من داخل أصول نصوص العهد الجديد اليونانية ، وذلك فى كتابى " بولس صانع الأسطورة " فارجع إليه فهو جديد فى مادته . ولن أبخل عليك هنا فسوف أشرح بإذن الله تعالى قول المسيح عليه السلام فى بيان صفة كنيسته وتوقيت بنائها حسب الأصول اليونانية فى فصل تالى لتعرف الإجابة التى خيَّم عليها الضباب الكثيف لمدة ألفى سنة ميلادية ..!!

الترجمات العربية الحالية للأناجيل تقول **كنيسة** ولا تقول **اكّلسيا** كما هو فى الأصول اليونانية . كما أنَّ المسيح ﷺ لم يبن بيتا للصلاة خاصا به وبأتباعه المؤمنين به ولا حتى مبنى عاديا ليجتمع فيه بهم . وكذلك لم يأمر أتباعه ببناء بيت للعبادة خلاف بيوت العبادة الإسرائيلية . وإنما صلى وصام وزكَّى وحجَّ كما كان يفعل الإسرائيليون ولم ينفصل عن معبدهم أو يأمر أتباعه مِن بعده بالانفصال عن الإسرائيليين ومكان عبادتهم واتخاذ قبلتهم فى الصلاة . وأنما كانت أوامره الالتزام بشريعة التوراة مع الإيمان بالإنجيل الذى جاء به .

ومِن الملاحظ أنَّ الكنيسة الحالية على مرّ العصور المسيحية لا تعنى سوى ذلك المبنى القائم على مجلس الإدارة المكون من تنظيم هرمى من القسس والكهنة . يوجههم جميعاً مجلس إدارة أعلى يشرف على مجموعة الكنائس . إلا أنَّ هذه الإدارة الأعلى أخذت سلطاتها ـ فى الغرب العلمانى ـ فى التآكل يوماً بعد يوم بسبب الخلافات الشخصية التى نشبت بين قسوسها ، وشعب فى الغالب لا يدرك الكثير عن سياسة كنيسته وأهدافها الباطنة ..!!

وكل كنيسة عندنا الآن ـ أقصد المبنى الإدارى ـ صارت متخمة بكم ضخم من المخاوف والمشكلات المتزايدة دوما ، حتى صار الهَمّ الأكبر لراعيها هو كيفية المحافظة على شكل هيكلها . فالراعى (قسا أو كاهنا) ملزم برعاية أعضائها اجتماعيا ـ بشكل الوصاية بحسب المفهوم الشرقى للكلمة ـ فهو يحاول المحافظة على أعضاء كنيسته ومنعهم من الدخول إلى الإسلام . كما يقوم بشحن قلوب شعب كنيسته بكراهية الإسلام ونبىّ الإسلام والمسلمين وينطبق عليه قول المسيح " من ثمارهم تعرفونهم " .

وهذا أمر مُشاهد معلوم من سياسة الكنيسة القبطية ومَن لم يُصدِّق فعليه بمواقع **غجر المهجر** الأقباط على شبكة المعلومات الدولية ليرى ثمار أخلاق شعب الكنيسة المصرية . ومن ناحية أخرى يحاول راعى الكنيسة أن يُخفى نشاط كنيستة المالى عن جهات الأمن فى الدولة ووزاراتها (المالية والاقتصاد والجهاز القومى للحسابات) . كل هذا وغيره أدى إلى انفصال الكنيسة عن مجتمعها الذى تحيا فيه . وهذا واضح فى سياستها العامة ولغتها على مطبوعاتها العربية الدينية العامة والخاصة .

مِن هنا أرى أنَّ كلمة كنيسة تعنى الآن وفى عصرنا : الهيئة الموجودة فى المجتمع العربى والمغتربة عنه فى ذات الوقت ، بتخلفها عن إدراك لغته ومقوماته وبذلك أصبحت الكنيسة العربية تشكل تهديدا للإسلام ـ الديانة الرسمية فى البلاد العربية ـ مما يؤدى بالتالى إلى وَسْم كل من ينتمى إليها بشكل عدائى وانفصالى فى ذات الوقت (لاحظ تعبير الكنيسة القبطية لأتباعها بأنهم **شعب الكنيسة** كأنهم ليسوا مِن شعب مصر . كما تحاول الكنيسة القبطية جاهدة منذ أن تولى رئاستها شنودة الثالث فى سنة ١٩٧١ م القيام بإحياء اللغة القبطية الميتة بين قسوسها بدلا من العربية ، والتمسك بالعادات والطقوس الفرعونية) [١] .

---

(١) .. وياليت اللغة القبطية كانت هى الترجمة الأولى للأناجيل ، ولكنها ترجمة مأخوذة عن الترجمة اليونانية . وكلا الترجمتين ليستا من اللغة التى تكلم بها المسيح وكان بها إنجيله ..!!
فالقبطية فى أصلها يونانية ـ لغة مخاطبة المستعمر للمصريين ـ ولم يتكلم بها شعب مصر كما سيأتى بيانه . وليس فيها من الحروف المصرية سوى سبعة أحرف والباقى منها هو سبعة وعشرون حرفا يونانيا ورغم ذلك يقولون بأنها مصرية ..!!
كما أنَّ معظم كتابات آباء كنيسة الإسكندرية القدماء كانت باللاتينية واليونانية وليست بالقبطية . وحتى الكتابات القبطية الدينية التى تم اكتشافها فى نجع حمادى والمنيا وغيرهما تتنصل منها الكنيسة القبطية ولا تؤمن بما فى تلك الكتابات القبطية .. عجبى ..!!

إنها مجتمع متكامل فيه سلطة هرمية ظاهرة وسلطة سريَّة مُحاطة بمجموعة من الأسرار . زعموا أنَّ جسدَ يسوع السرِّى هو رأسها وعمودها السرمدى . قال المسيح ﷺ حسب نصّ إنجيل مرقس (١١ : ١٧) " أما كتب أنَّ بيتى **بيتا للصلاة** يُدْعى عند جميع الأمم " فقال بيتا للصلاة ولم يقل كنيسة للأسرار وجباية العشور ..!!

وهدف الكنيسة الأساسى هو خلاص أتباعها نفساً وجسداً من حكم الشريعة الإلهية (كما قال بولس قديما) ، تحت ستار إزالة سلطة الخطية ومحبة الانسان لها وتقود شعبها كما تزعم إلى الحياة الأبدية السماوية . ويتم ذلك عن طريق الإيمان بالتجسد وعمل الفداء وفعل الروح القدس فى الأتباع . وليعلم القرَّاء أنَّ الواسطة المنظورة لإجراء كل ذلك هى الكنيسة . وقد سُمّى البحث فى الكنيسة ونظامها وعلاقتها بالعالم وعملها الخاص بـ **الإكليزيولوجيا** (أى **العِلم الكنسى**) وهو قسم من أقسام عِلم اللاهوت الكبرى .

وقد دُعيت الكنيسة فى العهد الجديد بألقاب متنوعة منها : بيت روحى (١بط ٢ : ٥) وبيت ثيوس (١ تى ٣ : ١٥) وهيكل ثيوس أى هيكل الله حسب الترجمة العربية وهيكل الروح القدس (١ كو ٣: ١٥، ١٦) وجسم يسوع (أف ٥ : ٣٠) وجسد يسوع (١كو ١٢ : ٢٧) وعروس المسيح (أف ٥ : ٣١ ، ٣٢) ... الخ .
ولم توصف أبدا بأنها بيت للصلاة كما بيَّن وأراد المسيح ﷺ .

وأذكر للقارىء الكريم ملخصا مختصرا جدا لبداية ظهور الكنائس الشرعية المدعمة بحماية السلطة الحاكمة فى التاريخ المسيحى ..
حتى سنة ٢٦٠ م كان كل ما يطلق عليه كلمة كنيسة تعتبر كنائس غير شرعية تعمل فى السِّر بعيدا عن أعين السلطات الحاكمة . وبعدها بأربعين سنة أخرى كانت فترة تأسيس قانونية الكنائس وشرعيتها . وثلاثة عشر سنة أخرى كانت فترة الاضطهاد الذى لم يُسبق له مثيل . وفى سنة ٣١٣ م أصدر الإمبراطور قسطنطين قانون التسامح الدينى ورفع الاضطهاد ومن ثم أخذت الكنائس شرعيتها الدينية ومكانتها فى حق الظهور والانتشار .

أنواع الكنائس وأنظمتها ..

اشتهر فى تاريخ الكنيسة أربعة أنظمة هى : النظام التقليدى البابوى . والنظام الأسقفى ؛ والنظام الاستقلالى ؛ والنظام النيابى أو الجمهورى .

١ ـ يؤمن أصحاب **النظام التقليدى** البابوى (الفاتيكان) أنَّ الكنيسة واحدة لها نظام واحد منظور ، رأسها الأرضى البابا وهو نائب المسيح . والموظفون فى الكنيسة هم البطاركة والأساقفة (أى المطارنة) وسائر رجال الدين . ولهؤلاء حقوق فائقة وسلطان عظيم . ويمثل هذا النظام الطوائف الكاثوليكية المختلفة .

٢ ـ ويعتقد أهل **النظام الأسقفى** (ومنها الكنيسة القبطية) [1] أنَّ الكنيسة جماعة تحت رئاسة الأساقفة والقسوس والشمامسة . وأساقفتهم هم خلفاء الرسل ولهم معجزات رسولية ، وقد تسلسلوا من الرسل بسلسلة الرسامة الكنسيّة . ولا يتوظف عندهم إلا الذى رُسم عن يد أساقفتهم بالرسامة القانونية ، ولذلك لا يعتبرون رسامة القسوس فى الكنائس الأخرى رسامة حقيقية بدعوى أنهم لم يُرسموا عن يد الأساقفة في الكنيسة الأسقفية . وهم يؤمنون أنَّ الكنيسة والأساقفة مع سائر القسوس والشمامسة هم أصحاب السلطة وليس للشعب حقوق فى سياسة الكنيسة . ويمثل هذا النظام الكنيسة القبطية وكنيسة أنطاكيا وباقى كنائس الطوائف الأورثودكسية .

٣ ـ ويعتقد أهل **النظام الاستقلالى** (وهم بالغرب) أنَّ كل كنيسة محلية مستقلة فى نظامها ، قائمة بنفسها ، تختار موظفيها أى القسس والشمامسة لا غير . وتقوم بأمورها بالاستقلال التام . وتمثلهم كنائس الطوائف البروتستانتية المستقلة .

٤ ـ **النظام النيابى** أو الجمهورى وفيه تقوم كل كنيسة محلية بذاتها ولكن لها علاقة بمجلس كنسى يُدعى **المجمع المشيخى** الذى له بدوره علاقة بمجمع

---

(١) .. منذ أن تأسست الكنيسة القبطية ـ بعد انفصالها عن كنيسة الإسكندرية ـ وحتى منتصف القرن العشرين لم يكن بها كرسى بابوى . أمَّا عن وجود البابا فيها الآن فقد وُجِد بصدور بقرار من رئيس الجمهورية **المسلم** جمال عبد الناصر ..!! وتم إلغاء القرار الجمهورى سابق الذكر بواسطة الرئيس **المؤمن** محمد أنور السادات ..!! ولا تزال البابوية موجودة رغم **عدم صدور** قرار جمهورى **مُعلن** من الرئيس الحالى ..!!

أعلى يدعى **السنودس** وله علاقة بمجمع أعلى يُدعى **المحفل العام** وهو مركز السلطة البشرية الأعلى فى الكنيسة .

ولأعضاء كل كنيسة حق انتخاب مجلس لها من الشيوخ والشمامسة ينوب عن الكنيسة بالإجمال لإجراء أعمالها والنظر فى مصالحها . ولهذا المجلس أن ينتخب من أعضائها من ينوب عن تلك الكنيسة مع قسيسها فى المجمع المشيخى . وللمجمع حق انتخاب من ينوب عنه فى السنودس والمحفل العام . والمجلس فى كل كنيسة مع القسس هم نواب الكنيسة للنظر فى إدارتها والسهر على مصالحها . ويمثلهم الطوائف الإنجيلية بمصر [1] .

---

(١) .. تم نقل ذلك التقسيم الكنسى بتصرف من كتاب اللاهوت النظامى .

بين الكنيسة القبطية والكنائس الإنجيلية المصرية

يعتقد التقليديون [1] - كالكنيسة المصرية القبطية الحالية - أنَّ كنيسة المسيح الحقيقية هى كنيستهم هم لا غير . بينما يعتقد الإنجيليون المصريون أنَّ الكنيسة غير المنظورة واحدة وعامة وتحت رياسة المسيح فقط ، وأنَّ الكنيسة المنظورة مؤلفة من جماعات كثيرة منتظمة تحت أسماء مختلفة .

ويعتقد التقليديون المصريون أنَّ صفات الكنيسة هى الوحدة والقداسة والجامعية والرسولية والعصمة وعدم إمكان السقوط ، وأنَّ هذه الصفات اجتمعت فى كنيستهم وحدها ، فهى الكنيسة الوحيدة الصحيحة فى العالم ، ولا خلاص لمن هو خارج عنها . وينكر عليهم الإنجيليون المصريون بعض تلك الصفات ويقولون إنَّ كنيسة المسيح الصحيحة ليست تحت نظام واحد خارجى . بل هى الكنيسة غير المنظورة الروحية المؤلفة من كل المؤمنين بالحق فى كل زمان ومكان . وأنها جسد المسيح وهو رأسها وربها بغضّ النظر عن نظامها الخارجى .

قلت جمال : ومن المعلوم تاريخيا أنَّ المسيحية الأولى [2] تشرذمت وتشققت إثر صراعات عقائدية لاهوتية تمحورت حول طبيعة المسيح وأيضاً إثر صراعات سياسية كان لها أثرها الكبير فى تفكك الكنائس المسيحية . وجعلت أربع عواصم مسيحية كبيرة تتواجه مع بعضها فى القرن الخامس والسادس والسابع وهى :

روما ؛ الاسكندرية ؛ أنطاكية ؛ القسطنطينية . ومع أنَّ المحاولات استمرت لاحقاً من أجل رأب الصدع بينهم من أجل توحدهم لكن لم يتم ذلك الأمر حتى الآن .

---

(١) .. التقليد ترجمة للكلمة اليونانية (بارادوسيس) أى التسليم لأقوال القدماء . ومن الكنائس التقليدية كنيسة الاسكندرية ؛ كنيسة انطاكية ؛ الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ؛ الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية ؛ الكنيسة البيزنطية ؛ و ... و ... الخ ؛ وحاليا الكنيسة القبطية وهى غير كنيسة الإسكندرية كما سيأتى بيانه .

(٢) .. أمّا عن الطائفة النصرانية فقد اضطهدها اليهود والمسيحيون .. وتحت اضطهاد الحكم الرومانى المسيحى لاذ النصارى بأطراف الجزيرة العربية شمالها وجنوبها إلى أن ظهر الإسلام فدخل أكثرهم فيه ومَن لم يدخل فقد باد مع البادين ولا يعرف التاريخ لهم وجود معلوم الآن .

وتتواجد الكنائس فى الشرق الأوسط حاليا على هيئة أربع بطريركيات أساسية وهى :

١- الاسكندرية وتضم أساساً مصر والحبشة وافريقيا ، ولكنها انقسمت فى الستينيات - عقب الانقلاب العسكرى ضد إمبراطور الحبشة هيلاسيلاسى - إلى بطريركيتين : القبطية والحبشية . فتقلصت سلطاتها .

٢- القسطنطينية والمعروفة بالبيزنطية.

٣- انطاكية وهى مقسمة أيضا اليوم إلى بطريركيات عدة : الروم والروم الكاثوليك ، والسريان الارثوذكس ، والسريان الكاثوليك ، والسريان الموارنة والأرمن ، والسريان المشرقيين (كلدان وآشوريين) .

٤ - بطريركية أورشليم القدس ، وتضم بطريركية الروم الارثوذكس وممثلين عن كل الكنائس الشرقية فى نيابات بطريركية متعددة كاثوليكية وارثوذكسية .

وكل هذه الكنائس تتبع كل منها طقوساً وعقائد وتقاليد مختلفة ومتنوعة تخضع بدورها لعوامل عدة : دينية وحضارية وثقافية وتاريخية وسياسية . وهناك وظائف للكنيسة بعضها وقتى وبعضها دائم .

فالوظيفة الوقتية هى وظيفة الأنبياء والرسل (كما يزعمون) ..!!

ووظائف دائمة كالتعليم والإدارة والخدمة .

كما أنَّ للكنيسة فرائض تُسمى وسائط النعمة وهى الأسرار الكنسية التى تقوم بعملها وهى البحث الثانى فى ذلك الكتيب .

نبذة عن اعتقادات الكنائس التقليدية ـ كالقبطية الإسكندرانية ـ

(أخذت المعلومات بتصرف كبير من كتاب اللاهوت النظامى)

يعتقد أصحاب الكنائس التقليدية أنَّ الكنيسة مُقامة من الرب ، فهى مُعَلِّمة معصومة ذات سلطان . وأنَّ الشبح المقدَّس ـ الروح القدس ـ حاضر معها دائماً يرشدها ويحفظها من الخطأ فى التعليم . ورؤساء الكنائس عندما يتكلمون فى الأمور الدينية يكونون آلة فى يد ذلك الشبح الخفى المقدَّس [1] . والعصمة لا تفارقهم فهم الوحيدون الذين لهم الحق فى شرح الكتاب المقدس .

وهذا التعليم يوافق ذوق عامة المسيحيين فى مصر الذين لا يدرسون الكتاب المقدس . لأنَّ الكنيسة بموجب هذا التعليم قادرة أن ترشدهم وتحررهم من المسؤولية الشخصية فى أمور الدين ، وتحكم فى كل المسائل الدينية لأجلهم وتخلّصهم من لزوم البحث عن ماهية الحق . وتؤكد لهم خلاصهم بمجرد خضوعهم لها ، وتحمل عنهم الخطأ ، وتوزع عليهم النعمة . وتفتح لهم أبواب السماء .

قلت جمال : لقد أخطأ المسيحيون عندما حَذوا حِذو اليهود ، فنسبوا إلى أنفسهم مقالة اليهود من أنهم ورثة المواعيد وأصحاب الحق الكتابى . فمن ينضم للكنيسة ويسير تحت نظامها ويؤمن بأسرارها ينال الخلاص ، وأنَّ جميع الذين ماتوا وسيموتون خارج الكنيسة لا يستحقون الفردوس ولذلك يهلكون .

وللعلم فإنَّ المسيح عليه السلام قد أبطل مثل تلك الأقوال التى كانت متفشية بين قومه كما هو مسجل فى الأناجيل الحالية . وكما يظهر جلياً من الأناجيل أنَّ وظيفة الرسل ـ تلاميذ المسيح ـ وقتية وغير قابلة للانتقال والتسلسل . وليس فيها أمرٌ باستمرارها . وليس فى الأناجيل أمرٌ بإقامة خلفاء لهم كما تزعم الكنائس التقليدية .

---

(١) .. فى النسخ الإنجليزية القديمة المعتمدة نجد كلمة شبح (جوست ghost) هى المستخدمة كثيرا فى النصوص . ومنذ مطلع القرن العشرين بدأت كلمة روح (سبريت spirit) تحل محل كلمة شبح فى النسخ المعاصرة . والمعنى بين الكلمتين مختلف كما هو معلوم .

وبتتبع الحوادث التاريخية نجدها تكذِّب العصمة المزعومة . فالتاريخ يروى كيف أنَّ الكنيسة وقادتها أخطأوا وانحرفوا عن الحق وانشقوا على أنفسهم منذ فتنة أريوس . بل من قبل ذلك بكثير فقد انشق المسيحيون فى أنطاكيا عن كنيسة القدس التى كان بها تلاميذ المسيح منذ عصر بولس . كما قبلت الكنيسة أكثر القضايا المهمة فى تعليم أغسطينوس فى مجمع أفسس الثالث سنة ٤٣١ م فى عقائد فساد طبيعة الإنسان وموته الروحى ، وعدم امكان الخاطئ أن يتجدد بدون قوة الروح . وفى اختيار البعض للخلاص وعدم اختيار البعض الآخر .

ورفضت الكنائس ما سبق أن قبلته ، وعلّمَت أنَّ النعمة الإلهية ليست إلا إعانة للإنسان ليرجع إلى الرب ، وأنَّ المعمودية هى وسيلة التجديد ، وأنَّ الشهوة ليست خطية وسكتت فى أمر الاختيار . وواضح من هذا أنَّ الكنائس غير معصومة فى التعليم لعدم مطابقة تعاليمها بعضها لبعض .

وقد جاء فى تاريخ المسيحية رأيان متضادان فى وسائط الخلاص التى ينالون بها النعم السماوية :

- **رأى الكنيسة الإنجيلية** : أنَّ الكارزين - الداعين - بالحق هم خدّام مختارون من الرب لنشر بشرى الخلاص ، ولكن ليس لهم السلطان الخاص بالرسل ولا مواهبهم العجيبة ، وأنَّ سِرِّى الكنيسة - المعمودية والعشاء الربَّانى - ليسا إلا من جملة الوسائط لبنيانها وثباتها فى الإيمان ونموها فى التقوى . وأنَّ فاعليتهما تتوقف على قبولهما بالإيمان لا على ممارستهما بأيدى القسس . وأنَّ القسس معيّنون لممارستهما حفظاً لنظام الكنيسة .

- **رأى الكنائس التقليدية** : الاعتقاد أنَّ رجال الدين هم خلفاء الرسل ولهم وحدهم سلطان الرسل ومواهبهم . وعلى ذلك فهم وكلاء النعمة الإلهية وذو قدرة على توصيلها للبشر بواسطة الأسرار الكنسية . أى أنَّ الرب يستخدمهم **هم فقط** وسائط ليوصّل نعمته وخلاصه للبشر . وبناءً على ذلك يكون قبول الأسرار عن يد الإكليروس ضرورياً للخلاص . وكذلك تتوقف فاعلية الأسرار على ممارستها

بالأسلوب الذى يراه الإكليروس [1] قانونياً . وهذا الأمر يخوّل للإكليروس سلطاناً فى الأمور الروحية لم يخولهم إياه يسوع ويملأ أيديهم بالقوة لاستعباد البشر .

ويتضح خطأ هذا الرأى من سوء تفسيرهم بعض آيات الكتاب التى زعموا أنها تشير إلى رسامة الإكليروس بوضع الأيادى وقبول الشبح المقدَّس مع أنها لا تشير إلا إلى التأييد وللتثبيت . ومن هذا يتضح أنَّ إعطاء الشبح المقدَّس بوضع الأيدى لم يكن لرسامة إكليروس ولا لإثبات الخلافة الرسولية بل لمنح التأييد .

ولم أجد فى الأناجيل الحالية خبر إعطاء الشبح المقدَّس - أقصد التأييد الإلهى - بغير وساطة المسيح شخصيا . وحتى الآن لم يوجد فى الكنيسة - بطوائفها المختلفة عقائديا - من استطاع منح الشبح المقدَّس لأحد من البشر . فلا سند من الأناجيل يُشير إلى الخلافة الرسولية المزعومة ولا على تفويض منح تلك النعمة الإلهية الوراثية إلى رجال الإكليروس أو إعطاء الشبح المقدَّس مراراً لجماعة من الناس عند معموديتهم .

المهم أنَّ المسيح ﷺ قد جاء أساسا لهدم تقاليد الشيوخ ورفع الإصر والأغلال التى فرضها شيوخ بنى إسرائيل عن قومه (إنجيل مرقس) . ولكن أتباع بولس عملوا بالعكس تماما حيث أحيوا التقاليد البغيضة تبعا لقول بولس : " فأثبتوا إذا أيها الاخوة **وتمسكوا بالتقليدات** التى تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا " (٢ تسالونيكى ٢ : ١٥) و " فأمدحكم أيها الاخوة على أنكم تذكروننى فى كل شىء **وتحفظون التقليدات** كما سلمتها إليكم " (١ كورنثوس ١١ : ٢) .

ومن هذه التقاليد المعمول بها فى الكنيسة القبطية الأورثوذكسية : إكرام صور وتماثيل (الأيقونات) القديسين وبقاياهم والاستشفاع بها ؛ حفظ الصوم الأربعينى قبل الفصح وحفظ يومى الأربعاء والجمعة على مدار السنة ؛ الحياة الرهبانية ؛ **الصلاة إلى جهة الشرق ؛ عدم الركوع يوم الأحد وفى أيام الخمسين** .

---

(١) .. كلمة **اكليروس** مشتقة من كلمة **اكليرونوميا** اليونانية ومعناها **الميراث** أى أنَّ هؤلاء الناس اختاروا أن يكونوا ورثة يسوع ..!! بمعنى أنهم أصبحوا مكرسين تماما لعملهم هذا فلا يعملون عملاً آخر خارج الكنيسة ..!!

كما تزعم الكنيسة القبطية أنَّ التقليد هو كلام الله الشفوى غير المكتوب (الأمانة) ، وتعتبره مساويا للكتب المقدسة ومفسرا ومكملا لها ، تناقلوه عن الأوائل . ولذا نجد رؤساء الكنيسة القبطية يعتقدون أنَّ الكتاب المقدس صعبٌ ومبهَم لا يمكن فهمه بدون مفسّر منظور معصوم من الخطأ هو الكنيسة . وبناء عليه فإنَّ الكنيسة القبطية لا تستحسن مطالعة الشعب للكتاب المقدس بدون الكنيسة . بينما نرى الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية تنادى بلزوم نشر الكتاب والسعى فى توزيعه . ومن هنا نجد خلو المكتبات العامة والخاصة من نسخة كتاب الكنيسة القبطية حيث لم تقم بطباعته ونشره بين الناس إلى الآن ..!!

ومِن المفارقات البينية أن تضع الكنيسة الإنجيلية **المسيح قبل الكنيسة** وتزعم الاقتداء به دليلاً على التقوى الصحيحة . بينما تضع الكنيسة القبطية **الكنيسة قبل المسيح** وتحسبه شرط الإيمان الصحيح .

كلمة خطيرة حول الكنيسة المصرية

لا شك أنَّ درجة الوعى والثقافة العامة تتحدد عند الفرد بقدر إلمامه بتاريخ بلده ولغته ، وعندما يصبح التاريخ المزيف واللغة المزعومة جزءاً رئيسيا من عقيدة مجموعة من الناس لإثارة الفتنة والبلبلة فى المفاهيم ولإضعاف الوحدة الوطنية لشعب مصر . فلابد لنا من وقفة نعيد فيها قراءة التاريخ لنعلم صحيحه من سقيمه بغرض بناء ثقافة التطور والمواجهة .

وستكون وقفتى بحول الله وقوته حول محورين :

بداية **ظهور الكنيسة القبطية** فى التاريخ المصرى ، **واللغة القبطية** التى زعموا أنها كانت لغة شعب مصر كله وليست لغة المستعمر اليونانى التى وضعها ليخاطب بها المصريين ..

أولا : الكنيسة القبطية

لا أستطيع أن أزعم أو أقول بأنَّه كانت هناك كنيسة واحدة فى مصر تُدْعَى الكنيسة المصرية قبل الفتح الإسلامى لمصر .. وإنما كانت هناك فى مصر كنيسة واحدة ظاهرة تسمى بكنيسة الإسكندرية ، هى التى نجد ذكرها فى كتب التاريخ المسيحى قبل القرن السابع الميلادى ، أى قبل الفتح الإسلامى لمصر . ولكن **قبيل الفتح الإسلامى** كان هناك منشقون على كنيسة الإسكندرية تزعمهم البطرك بنيامين الذى كوَّن ما يشبه كنيسة فى السِّر تعارض آراء وعقيدة كنيسة الإسكندرية بخصوص مسألة طبيعة المسيح وقرارات مجمع خلقيدونية . ولنا أن نقول كانت هناك بمصر أوان الفتح الإسلامى كنيسة ثانية تشكلت فى السِّر من المصريين الذين خالفوا أراء كنيسة الإسكندرية بخصوص قرارات مجمع خلقيدونية . فصار بمصر قُبَيْل الفتح الإسلامى كنيستين حينذاك ..

أولاهما كنيسة ظاهرة **ملكانية** المذهب والعقيدة ، تابعة للقسطنطينية والحاكم الرومانى وهى **كنيسة الإسكندرية** . والثانية مستترة تشكلت سِرًا ، **يعقوبية** المذهب

والعقيدة - وهى على النقيض من كنيسة الإسكندرية وعقيدتها - رفضت آراء كنيسة الإسكندرية وتدخلات الإمبراطور الرومانى ، وهى التى تسمت **فيما بعد** وفى ظل العصر الإسلامى لمصر بـ **الكنيسة القبطية** .

وخيَّم ظلام التاريخ الكنسى على الكنيستين ، ولم يحاول الباحثون فى التاريخ المصرى كشف النقاب عن العلاقة بين الكنيستين وتبيان التوقيت الذى ظهرت فيه الكنيسة القبطية وسرقت فيه تاريخ كنيسة الإسكندرية وزعمت أنها هى كنيسة الإسكندرية بعد أن انزوت كنيسة الإسكندرية وتقلصت عقب الفتح الإسلامى لمصر بقرنين من الزمان . بل وسرقت الكنيسة القبطية التاريخ المصرى فقالت التاريخ القبطى نسبة إليها . مع أنَّ كلمة قبطى ليست بكلمة مصرية وإنما يونانية فرضها المحتل اليونانى وأتباعه من بعده على مصر والمصريين ..!!

ولا أستطيع أن أزعم أو أقول بأنَّ الكنيسة القبطية الحالية هى امتداد لكنيسة الإسكندرية التاريخية القديمة . ولكنها كنيسة من كنائس مصر ظهرت وهى تُقَدِّس اللغة القبطية وتتعامل بها فى طقوسها الدينية وتُحْيِى التراث الفرعونى الوثنى [1] وتعتمد **التفسير الرمزى** أصلا أصيلا فى فهم الكتاب المقدَّس ، وتُسمى نفسها بالكنيسة القبطية تمويها على الجهلاء من العامة ليفهموا أنها الكنيسة المصرية الوحيدة . ومن ثمَّ فقد سرقت تلك الكنيسة القبطية تراث وتاريخ كنيسة الإسكندرية التاريخية ، وتعدى الأمر إلى أن سمَّت نفسها بكنيسة الإسكندرية حاليا ..!!

---

(١) .. ولنضرب هنا مثلا واحدا ، ألا وهو الاتجاه للشرق فى الصلاة المسيحية ..
هو تقليد مصرى قديم توارثه المسيحيون عن فراعنة مصر ، وإن كان القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠ - ٣٧٩ م) يقول بأنه تقليد قديم متوارث غير مكتوب فى الوثائق المسيحية . ويُعد العلامة كليمندس الاسكندرى (١٥٠ - ٢١٥ م) أوَّل من أشار إلى الاتجاه للشرق فى الصلاة . **فالاتجاه للشرق فى الصلاة طقس وُجِدَ فى مصر أولا وامتد منها إلى كل أنحاء العالم المسيحى** . وعلى ذلك فإن اتجاه الكنائس المصرية إلى الشرق فى بنائها هو أمر أساسى فى تصميمها ، بينما هو أمر لم تعرفه كنائس أوروبا إلا فى العصور الوسطى ..
ويقول الراهب المصرى اثناسيوس فى معجمه : وفى الليتورجية القبطية تكثر تنبيهات الشمَّاس للشعب للاتجاه للشرق فى الصلاة رغم أنَّ الكنيسة أصلا مبنية فى هذا الاتجاه ومن هذه النداءات " إلى الشرق انظروا " و " قفوا وإلى الشرق انظروا " . (نقلا عن معجم المصطلحات الكنسية / ج ١ ص ٤١) .
قلت جمال : وقطعا الاتجاه فى الصلاة إلى الشرق يخالف ما كان عليه المسيح ﷺ من اتخاذه قبلة الصلاة إلى بيت المقدس كما ورد فى إنجيل يوحنا أثناء حديثه مع المرأة السامرية .
أمَّا عن الصلاة إلى الشرق فهى واردة عن الفراعنه كما فى صلاة تحتمس الثالث إلى الشرق حيث أرض الإله ..
ولا توجد أرض بشرق مصر سوى أرض الحجاز ومكة المكرمة ..!!

تلك الكنيسة التى يزعم كهنتها وقسسها زورا وبهتانا بأنها هى كنيسة الإسكندرية القديمة والمعروفة فى كتب التاريخ القديم . كنيسة الإسكندرية التى كانت تعد من الأربع بطريركيات الشرقية القديمة : بطريركية **أنطاكيا** و بطريركية **القسطنطينية** و بطريركية **الإسكندرية** و بطريركية **أورشليم** .

كنيسة الإسكندرية التى لم يصلنا شيئا من كتابات آبائها باللغة القبطية . وكل ما اكتشف من كتابات قبطية قديمة ـ مثل مكتشفات نجع حمادى والمنيا ـ لا تنتمى إلى كنيسة الإسكندرية فى عقيدتها . كما تتنصل الكنيسة القبطية من تلك الكتابات القبطية..!!

ومن المتفق عليه بين المؤرخين المسيحيين **أنَّ كنيسة الإسكندرية** كانت من الكنائس التى **وافقت على قرارات مجمع خلقيدونية** الذى عقد سنة ٤٥١ م . **أمَّا الكنيسة القبطية الحالية** ـ والتى تزعم قياداتها أنها كنيسة الإسكندرية ـ **فهى لا تعترف بقرارات مجمع خلقيدونية** . وتلك مفارقة عقدية خطيرة [1] ..!!

والكنيسة القبطية الحالية تقول قياداتها بأنها كنيسة أرثوذكسية بالذال **وليس بالدال** كما هو الحال فى كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكيا وكنيسة القدس وكنيسة القسطنطينية فكلها كناس أرثودوكسية (ορθοδοξοχ) بالدال (δ) وبالتأكيد هناك فرق فى معنى المصطلح اليونانى ..

وكلمة الأرثودكس (ορθοδοξοχ) معناها فى اليونانية مستقيم الرأى . وهى كلمة مركبة من لفظتين يونانيتين (أرثوس) وهى صفة لما هو قويم وسليم . و (دكسا) وهى اسم يدل على الرأى والمعتقد والفكر . فيكون معنى الكلمة اليونانية المركبة (أرثودكس) هو المعتقد القويم أو الرأى القويم .

---

(١) .. من أقلام قسس الكنيسة القبطية أخذت تلك البيانات مع أنها مسجلة فى كل كتب التاريخ المسيحى .
(راجع على سبيل المثال كل من معجم المصطلحات الكنسية : ج ١ ص ٦٢ ـ ٦٣ للراهب القبطى اثناسيوس و المسكونية فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية / دراسة وثائقية للقمص بولا عطية ص ٣٠) . وكلا الكتابين عليهما موافقة البابا شنودة ومساعده بيشوى ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ ..!!

وقد ظهرت طائفة الأرثودكس على مسرح التاريخ بعد أن انفصلت الكنائس الشرقية عن الكنيسة الغربية نهائيا فى **مارس سنة ١٠٥٤ م** . ولذلك لم يتكلم علماء الإسلام القدماء - ولا حتى مؤرخى المسيحية - عن مسميات الطوائف الأرثودكسية أو الكاثوليكية وما خرج منها كالبروتستانتية - وما تفرع منهم من طوائف عدة - لأنَّ تلك المسميات ظهرت من بعد مرور ألف سنة على بعثة المسيح عليه السلام . فكان علماء الإسلام القدماء يتكلمون عن الطوائف الثلاث القديمة الكبرى كالنسطورية واليعقوبية والملكانية (أى أتباع الملك) .

أهم المراحل التأسيسية فى الفكر والعقيدة بالنسبة للكنيسة القبطية هى مرحلتى مؤتمر نيقية في سنة ٢٢٥ ومرحلة مؤتمر خليقيدونيا في سنة ٤٥١ ومن هذه تقوم الدعامات الاستقلالية للكنيسة القبطية حسب استقراء كتب تاريخ المسيحية بمصر .. فلا وجود للكنيسة القبطية فى **التاريخ المسيحى** قبل القرن الخامس الميلادى يقينا . ولا وجود لها فى **التاريخ المصرى** قبل الفتح الإسلامى لمصر فى القرن السابع .

والأرثودكس عموما ينقسمون إلى :

أرثودكس خلقيدونيين وهم : الأربع بطريركيات القديمة **القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكيا وأورشليم** .

أرثودكس لا خلقيدونيين وهم الذين لا يعترفون بقرارات مجمع خلقيدونية الذى عقد سنة ٤٥١ م ، وهم يمثلون **اليوم** : **الكنيسة القبطية** والكنيسة **الأثيوبية** والكنيسة **السريانية الأنطاكية** والكنيسة **الأرمنية** .

ولا أعلم تحديدا متى ظهرت الكنيسة القبطية ككيان مستقل وككنيسة مستقلة عن كنيسة الإسكندرية ومختلفة معها فى عقيدتها بشأن طبيعة السيد المسيح ..!!؟ ولكن الرأى الصحيح أنَّ ذلك الأمر كانت بوادره قبيل دخول الإسلام لمصر . المهم أنهم قالوا بوجود كنيستين مختلفتين عقائديا أمام قرارات **مجمع خلقيدونية** هما كنيسة الإسكندرية والكنيسة القبطية ..!!

وتعترف الكنيسة القبطية اللاخلقيدونية بثلاثة مجامع مسكونية فقط هى : نيقية (٣٢٥ م) والقسطنطينية (٣٨١ م) وأفسس (٤٣١ م) . بينما **كنيسة الإسكندرية الخلقيدونية** تضيف إلى الثلاثة مجامع المسكونية الأولى أربعة مجامع أخرى هى : خلقيدونية (٤٥١ م) والقسطنطينية الثانى (٥٥٣ م) وترولو (القسطنطينية الثالث ٦٩٢ م) ونيقية الثانى (٧٨٧ م) . وتلك علامة أخرى على المفارقة بين الكنيستين القبطية والإسكندرانية ..!!

فكان لكنيسة الإسكندرية وجود بمصر حتى سنة ٧٨٧ م **على الأقل** أى بعد الفتح الإسلامى لمصر بحوالى قرنين من الزمان .

وتطلق كلمة أرثودكس ، لغة على ما يوافق كل تراث ، دينياً كان أم غير دينى وتطلق اصطلاحاً على جماعة كبيرة من المسيحيين الذين يقولون إنهم حافظوا على المعتقد الصحيح كما حددته المجامع المسكونية [1] . وفى معظم الأحيان يُطلق الأرثودكس على كنيستهم أسماء (الكنيسة **الأرثودكسية الكاثوليكية** الشرقية) أو (الكنيسة **الأرثودكسية الكاثوليكية** فى الشرق) أو (الكنيسة **الأرثودكسية الجامعة**) . ويطلق عليها مجازاً مُسمى (الكنيسة الأرثودكسية) حتى لا يلتبس الأمر على العامة لأنَّ كلمة **الكاثوليك** هنا تعنى (الجامعة أو العامة) . المهم أنَّ تلك الكنائس الأرثودكسية التى تعد نفسها الكنيسة الجامعة (أى الكاثوليكية) الحقيقية ، ليست جزءاً من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الفاتيكانية ولا تتبعها فى العقائد أو الطقوس .

ولما اتسع مدى المجامع فى القرن الثالث الميلادى ازدادت أهمية أساقفة المدن الكبرى ونشأت فيها (كراسى أسقفية) . تميز من بينها ثلاثة هى كراسى أنطاكية وروما والاسكندرية . وعندما تأسست مدينة القسطنطينية وغدت عاصمة الامبراطورية جعل مركزها الأسقفى كرسياً رابعاً . وكانت لكل من هذه الكراسى سلطته على أقطار معينة ، وتعالج قضاياها الكبرى التى تخص العقيدة أو تهم جميع

---

(١) .. المجمع المسكونى مؤتمر يُدعى إليه أساقفة الكنائس المتعددة للتداول فى شؤون العقيدة المسيحية .

الكنائس مجامع عامة يحضرها أساقفة الكراسى أو ممثلوهم . وقد منح المجمع المسكونى الرابع (مجمع خلقيدونية) أساقفة هذه الكراسى لقب بطريرك ، وأحدث أسقفية القدس وجعل أسقفها بطريركاً فسمى البطريرك الخامس . وبذلك نشأ **نظام الرئاسة الخماسية** فى الكنيسة الأرثودكسية .

ومنذ النصف الأول من القرن الثالث أطلق على أسقف الكرسى الإسكندرى لقب **بابا** ، وسمى أسقف الكرسى الرومانى **بابا** فى الربع الأول من القرن السادس ، وفى الربع الأخير من القرن نفسه أطلق أساقفة اليونان على أسقف كرسى القسطنطينية لقب **البطريرك المسكونى** .

وفيما بعد صار لقب البطريرك يطلق على رؤساء الكنائس المستقلة الكبرى لأسباب دينية واجتماعية وسياسية دولية . ونلاحظ هنا وجود فارق آخر بين **كنيسَة الإسكندرية و الكنيسة القبطية** .. حيث أطلق لقب بابا لأول مرة على أسقف الكرسى الإسكندرى منذ النصف الأول من القرن الثالث الميلادى . بينما أطلق لقب بابا لأول مرة على بطرك كرسى الكنيسة القبطية (كيرلس) بقرار من رئيس الجمهورية المصرى المسلم جمال عبد الناصر فى أواخر الستينيات من القرن العشرين ، ومن بعده صدر القرار من رئيس مصر محمد انور السادات باقالة البابا شنودة الثالث واحالته للتقاعد وتعيين مجلس خماسى لادارة شئون الاقباط مكانه .. وذلك بالقرار الجمهورى رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ والذى قضى بالغاء القرار الجمهورى رقم ٢٧٧٢ لسنة ١٩٧١ بتعيين الأنبا شنودة الثالث بابا للإسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية فالكنيسة القبطية لم يعتلى كرسيها حتى الآن إلا اثنين من البابوات هما كيرلس وشنودة الثالث ..!!

وتؤكد جميع التعاليم الأرثودكسية الشفوية والكتابية المعاصرة أنَّ الكنيسة القبطية تعترف بسبعة أسرار مقدسة هى : العماد ؛ المَيْرون ؛ القربان المقدس ؛ رسم الكهنة ؛ التكفير ؛ مسحة المرض ؛ الزواج . بَيْد أنها لم تحدد عدد الأسرار رسمياً لا فى (كتاب الصلاة) الذى يتضمن نصوص هذه الأسرار ولا فى تعاليم آباء الكنيسة .

وفى الواقع لم يعمل أى مجتمع كنسى اعترفت به الكنائس الأرثودكسية على تحديد عدد الأسرار ، وقد **قُبل العدد سبعة فقط** فى (الاعترافات الأرثودكسية) **التى صدرت فى القرن السابع عشر** رداً على حركة الإصلاح .

ومن المفارقات أيضا أنَّ **آريوس** أسقف كنيسة الإسكندرية المصرية (٢٥٠ ـ ٣٣٦ م) من مواليد اخميم بصعيد مصر أى أنه مصرى صميم . كان له ألوف الأتباع عرفوا بالآريوسيين . وبقى مذهبهم التوحيدى حيا لفترات زمنية طويلة وصار آريوس علما للتوحيد ، حتى أنَّ كل من جاء بعده إلى يومنا هذا من المسيحيين وأنكر التثليث وإلوهية المسيح ، يصمه رجال الكنيسة الرسميون بأنه آريوسى نسبة إلى آريوس المصرى ..!! ومن المعلوم أنَّ مؤرخ الكنيسة الأول يوسابيوس القيصرى كان آريوسى المذهب ..!!

وعندما دخل الإسلام لمصر كانت كنيسة الإسكندرية وقياداتها تتبع **المذهب الملكانى** أى التابع للملك أى الامبراطور الرومانى . وكانت تضطهد نصارى مصر ورهبانهم أى كانت تضطهد المسيحيين المصريين أصحاب **المذهب اليعقوبى** ، وكان للمصرين بطرك حينذاك انتخبوه سراً كما سبق بيانه وهو بنيامين والذى كان على خلاف عقائدى مع كنيسة الإسكندرية الملكانية المذهب .

جاء فى كتاب (خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر) ما نصه :

" ولما استعاد الإمبراطور هرقل البلاد ـ من حكم الفرس ـ أراد وضع حد للاختلافات المذهبية فى أنحاء الإمبراطورية ، وأوفد إلى مصر لهذه الغاية كورش أو قيرش ـ المقوقس ـ أسقف أفاسيس فى أرمينيا فأقام أساقفة خلقيدونيين فى مصر [1] . وكان يقصد بتوحيد المذاهب إكراه قبط مصر على قبول المذهب الخلقيدونى . فاستعمل قيرش ـ المقوقس ـ وأساقفته الشدة فى سبيل تنفيذ مشيئة الإمبراطور . وكان قيرش بطريركا ملكيا (خلقيدونيا) وحاكما مدنيا فى وقت واحد .

---

(١) .. والحقيقة التاريخية المؤكدة من الوثائق المسيحية أن كنيسة الإسكندرية كانت خلقيدونية منذ سنة ٤٥١ م واستمرت على تلك العقيدة إلى ما بعد دخول الإسلام لمصر ..!!

فلما رأى البطرك بنيامين اليعقوبى المذهب [1] ذلك ، جمع رجال الأكليروس وحضهم على الثبات فى العقيدة حتى الموت ، وكتب إلى الأساقفة الأورثوذكسيين [2] ينصح لهم بالاختفاء إلى أن تزول هذه المحنة ، واختفى هو كذلك فى دير ناء فى صعيد مصر ، وظل مختفيا ثلاث عشرة سنة ، منها عشر سنوات فى حكم قيرش ، حاق فى خلالها البلاء بأهل البلاد .

وفى هذه الأثناء فتح العرب مصر على يد عمرو بن العاص ، فكتب عمرو صكا بالأمان نشره فى أنحاء مصر يدعو فيه البطرك بنيامين إلى العودة لكرسيه ويؤمنه على حياته . فظهر البطرك وذهب إلى عمرو بن العاص فاحتفى به ورده إلى مركزه عزيز الجانب موفور الكرامة . فأخذ يعمل على أن يسترد إلى الحظيرة الأورثوذكسية الأبرشيات التى استمالها الملكانيون [3] فكلل عمله بالنجاح .. " [4] .

ونجد الاشارة التاريخية النبوية عن أقباط مصر الواقعين تحت الاضطهاد الدينى من قِبَل حاكم مصر وكنيسة الإسكندرية ، وذلك فى رسالة النبى ﷺ إلى مقوقس مصر وحاكمها فى قوله ﷺ " **وعليك إثم القبط** " . فكان من أول الأشياء التى فعلها عمرو بن العاص عند دخوله لمصر فاتحا أن أمَّن القبط وأخرج بنيامين من عزلته معززا مكرما . وبدأت الكنيسة القبطية فى الظهور على مسرح التاريخ بعد الفتح الإسلامى بجانب كنيسة الإسكندرية ..!!

فكان لمصر عند الفتح الإسلامى **بطرك رسمى متمثلا فى بطرك كنيسة الإسكندرية** التى قبلت مقررات مجمع خلقيدونية ، **وبطرك شعبى انتخب فى السِّر** (بنيامين) **وهو بطرك الكنيسة القبطية** التى رفضت قرارات مجمع خلقيدونية .

---

(١) .. اختلفت الآراء والأقوال في سبب تسمية اليعقوبية . فقيل إنهم أتباع ديسقورس بطريرك الاسكندرية الذى رفض قرارات مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م ، وقيل لأن اسمه كان فى الأصل يعقوب . وقيل بل نسبوا إلى يعقوب البردغانى (أو البرادعى) تلميذ سويسرس بطريرك أنطاكية وكان راهبا بالقسطنطينية ، فكان يطوف فى البلاد ويدعو إلى مذهب ديسقورس . واليعقوبية معظمهم متواجد فى مصر والحبشة .

(٢) .. وهذا أيضا تعتيم للمعلومات ، فأساقفة كنيسة الإسكندرية أورثوذكسيين أيضا ، فلا معنى لتلك القولة ..!!

(٣) .. الملكانيون أتباع كنيسة الإسكندرية كانوا أيضا أورثوذكس ، ولكنه التعتيم والتجهيل التاريخى كأنَّ الأقباط هم الأورثوذكس الوحيدون ..!! وهذا هو ديدن الكنيسة القبطية ومؤرخيها ، تجهيل وتعتيم دائم للحقائق ..!!

(٤) .. نقلا عن (**تاريخ الأمة القبطية**) الحلقة الثانية خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر . تأليف كامل صالح نخلة و فريد كامل . **عضوا لجنة التاريخ القبطى** . نشر مكتبة المحبة سنة ١٩٤٠ م .

وبالفتح الإسلامى لمصر تخلصت الكنيسة القبطية من ظلم واضطهاد إخوانهم فى الدين الممثلين فى كنيسة الإسكندرية والحاكم الرومانى المسيحى (رأس كنيسة الإسكندرية) . وبدأت كنيسة الإسكندرية بعد الفتح الإسلامى فى الاضمحلال والتدهور حتى تلاشت بسبب انتمائها للقسطنطينية والإمبراطور الرومانى . ومن ثم سرقت كنيسة الأقباط تاريخها فيما بعد وزعمت أنها هى كنيسة الإسكندرية وأنها امتداد لها وأنَّ آباءها هم آباء الكنيسة القبطية ..!!

الكنيسة الأرثوذكسية المصرية :

رغم أنَّ الخلافات والمنازعات كانت كبيرة بين أسقف كنيسة الإسكندرية والإمبراطور والمذاهب النصرانية الشرقية (النسطورية واليعاقبة وأزمة أوطاخى ومشكلة مجمعى أفسس وخلقيدونية) إلا أنَّ الاسم الرسمى الذى يتم التعامل به فى المجامع الكنسية كان باسم **كنيسة الإسكندرية** ولم يكن أبدا باسم الكنيسة القبطية . وكانت كنيسة الإسكندرية تابعة للإمبراطور رغم فترات الخلاف ، فهى كانت دائما على المذهب الملكانى أى التابع للملك .

وهناك أمر آخر تميَّز به **المصريون المتأغرقون** (١) الذين ابتعدوا عن **مفلسفة المسيحية** - وليس فلاسفة المسيحية - فى الإسكندرية ، وهو الرهبانية التى ابتدعوها .. وقد وصل أصحاب هذا التيَّار الرهبانى صفوفهم برجال الكنيسة القبطية الناشئة ليكونوا فى مواجهة السلطة البيزنطية ومحتفظين بإيمانهم المبنى على أقوال وعقيدة آباء كنيسة الإسكندرية قبل مجمع خلقيدونية ، وبدون أن يقحموا أنفسهم فى المسائل اللاهوتية . محتفظين فى نفس الوقت بما وضعه لهم العلامة السكندرى أوريجن من منهج التأويل الرمزى فى تفسير الكتاب المقدس . فكانت الرهبانية هى الحصن الذى تحصنوا فيه من ظلم واضطهاد النظام الإمبراطورى الحاكم ومن مفلسفة المسيحية فى كنيسة الإسكندرية .

---

(١) .. متأغرقون أى اتخذوا الحياة الإغريقية اليونانية شعارا لهم ، درسوا باللغة اليونانية وكتبوا بها وأقاموا كافة شعائرهم الدينية بها من صلوات وقداسات بمعنى أنهم نسوا هويتهم المصرية ..!!

وفى نهاية القرن التاسع الميلادى وبعد انقضاء مجمع القسطنطينية الخامس **سنة ٨٧٩ ميلادية** أصبح يمثل الأرثوذكسية كنيستان رئيسيتان :

- الكنيسة الأرثوذكسية المصرية (القبطية) ، والمعروفة باسم الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية (أو كنيسة الإسكندرية زورا) . التى **رفضت** قرارات مجمع خلقيدونية بشأن طبيعة المسيح . **وخالفت** كنيسة الإسكندرية .

- والكنيسة الأرثوذكسية أو كنيسة القسطنطينية ، والمعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية ، التى **قبلت** قرارات مجمع خلقيدونية وخالفت الكنيسة المصرية فى طبيعة المسيح .

الكنائس الأرثوذكسية الشرقية :

رغم الانفصال المذهبى للكنائس الشرقية عن الكنيسة الغربية تحت مسمى كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية ، بعد رفض قرارات مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٩٦ م إلا أنها خضعت إداريًا للكنيسة الغربية تحت رئاسة بابا روما حتى **الانفصال النهائى عام ١٠٥٤م** . ومن ثم أصبحت الكنائس الأرثودكسية لا تدين بالولاء العقدى للكنائس الغربية التابعة لروما وما ظهر منها من طوائف كاثوليكية وبروتستانتية .

وتصدرت الكنيسة القبطية الأورثوذكسية المرقسية مكانتها فى مصر والحبشة بعد أن سرقت كل تاريخ كنيسة الإسكندرية العتيقة . وتجمدت الأبحاث اللاهوتية على ما كان عليه الأمر فى كنيسة الإسكندرية قبيل مجمع خلقيدونية . فلم نسمع منذ ذلك الحين عن أسماء علماء أجلاء مثل أوريجن أو كلمنت السكندرى وغيرهم ، ولا يوجد غير التقليد البغيض الذى أطلقوا عليه مسمى **الأمانة** التى زعموا أنهم ورثوها عن أسلافهم .

ثانيا : لغز اللغة القبطية

اللغة المصرية القديمة **كانت لغة واحدة** ، تعرضت للتطور فى طريقة كتابتها . ومع أنها لغة واحدة إلا أنها كانت تُكتب بثلاثة أشكال حسب الاستخدام والأغراض المطلوبة (هيروغليفى ، هيراطيقى ، ديموطيقى) شأنها كشأن سائر اللغات ، فاللغة العربية مثلا مِن أشكال كتابتها نجد (الرقعة والنسخ والثلث والكوفى ...الخ) ولم يقل أحد بأن خط الرقعة لغة أو الخط الكوفى لغة .

يقول العالم الأثرى المصرى سليم حسن فى المجلد الخامس عشر :
" عصر البطالمة .. وهو العصر الذى اصبحت فيه **الديموطيقية** [1] من حيث الكتابة واللغة هى السائدة فى البلاد المصرية بين أفراد الشعب المصرى الأصيل . لدرجة أنَّ ديموطيقية أصبحت تطلق على اللغة المصرية بوجه عام كما تشير إلى ذلك المراسيم التى صدرت فى عهد البطالمة . على أنَّه كان يستعمل بجانبها اللغة الاغريقية التى كانت لغة الشعب المستعمر وقتئذ طوال مدة حكمهم من أول عهد الاسكندر الأكبر حتى نهاية العهد الرومانى " . ثم قال " ولما كان الشعب المصرى الأصيل متمسكا بتقاليده منذ أقدم العهود فانه **استمر فى تدوين كل شئونه باللغة الديموطيقية** ، ولم يحاول قط تعلم اللغة الإغريقية ـ لغة المحتل ـ **حتى دخل الإسلام البلاد** " .

وقال رحمه الله فى موضع آخر : " واللغة الديموطيقية هى طريقة من طرق كتابة لغة مصر القديمة . وهى ليست إلا تطورا طبيعيا لها ظهر فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، واستمرت هذه الطريقة جنبا إلى جنب مع الكتابة بالخط الهيروغليفى (الكتابة المقدسة) وهو خط فاخر منمق يتم نقشه على الآثار الضخمة ، كما استمرت مع الخط الهيراطيقى المختصر الذى اختفت منه كل آثار الصور الأصلية فى الكتابة الهيروغليفية ..

---

(١) .. **الكتابة الديموطيقية** كانت النمو الطبيعى **للخط الهيراطيقى** المختصر (الذى يعد بدوره اختصارا **للخط الهيرغليفى** الذى يكتب بالقلم) . والتعبير ديموطيقى فيه الدلالة على الكتابة العامية المتداولة بين أفراد الشعب . (راجع موسوعة مصر القديمة للعالم الأثرى سليم حسن ج ١١ ص ٢٥٥) .

وتم تخصيص الخط الهيراطيقى لنسخ الكتب المقدسة وما شابهها . فى حين أنَّ الكتابة بالخط الديموطيقى كانت تستعمل للأغراض العادية اليومية مثل كتابة العقود والوثائق القانونية ... " انتهى النقل من الموسوعة [1] .

قلت جمال : وحيث أنَّ فترة الاحتلال اليونانى والرومانى جاوزت الألف سنة تقريبا ، ولم يغيِّر فيها الشعب المصرى لغته إلى أن دخل الإسلام أرض مصر . فترك الشعب المصرى ما كان عليه وتكلم باللغة العربية طواعية خلال خمسة وعشرين عاما فقط فى ظل الإسلام . **فأين ذكر اللغة القبطية وما هو موقعها من الإعراب فى تاريخ مصر ..!؟**

فأقول وبالله أستعين ..

كانت **اللغة اليونانية** هى لغة الحكومة المحتلة لمصر فى العصرين البطلمى والرومانى حتى بداية دخول الإسلام لمصر عام ٦٤١ م . ولم تحاول حكومة المحتل أن تتعلم اللغة المصرية رغم تواجدها لمدة قاربت الألف سنة . ولم يتعلم الشعب المصرى لغة المحتل وتمسك بلغته الديموطيقية . فكيف تم التفاهم بين الطرفين ..!!؟

كان ولا بد من وجود طرف ثالث يتم بواسطته تفاهم الطرف الأول مع الطرف الثانى وليس العكس فكانت القبطية .. وكلمة قبطية فى أصلها يونانية وَصَفَ بها المتكلمون باللسان اليونانى المصريين .. فوضع اليونان اللغة القبطية لتكون الوسيط للتفاهم بينهم وبين المصريين ، وليس العكس أى أنَّ المصريين لم يتكلموها ، فهم ليسوا بحاجة إلى اليونان ولغتهم ، بينما اليونان فى حاجة إلى قمح مصر وخيراتها فلابد من التفاهم مع المصريين .. فقام اليونان والممثلين لحكومة المحتل بنقل أصوات كلمات مصرية وكتبوها بالحرف اليونانى (translitration) ليفهمها المصريين بمجرد سماعها من اليونان ، وكان ذلك فى أواخر القرن الميلادى الأول كمحاولة أولى . وأطلقوا عليها اسم **القبطية الأولى** .

---

(١) .. موسوعة مصر القديمة / سليم حسن (ج ١٥ ص ٥٢٢ ـ ٥٥٥) .

ولما دخلت المسيحية مصر وحاول المبشرون اليونان وآباء كنيسة الإسكندرية أن يُفهموا المصريين تعاليم المسيحية ، لم يكن أمامهم سوى اللجوء إلى **القبطية الأولى** التى صنعها البطالمة ليخاطبوا بها المصريين . فتم تطويرها قليلا فى القرن الرابع الميلادى بإضافة سبع حروف مصرية إلى حروفها اليونانية الثلاث والعشرين حرفا ليتم رفع درجة التباين الصوتى للكلمات لتقترب فى منطوقها من صوت الكلمات التى يتكلمها المصريين .

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ **أساقفة الإسكندرية** آنذاك كانوا أحد اثنين :
إمَّا يونان منحدرين من أصول يونانية تمصرت وأصبحت مصرية بالإقامة .
وإمَّا مصريون تأغرقوا واتخذوا من اليونانية لغة الفكر والثقافة والدراسة لسانا .
وكلاهما كان يمارس اليونانية فكرا ونهجا ولسانا ، ولم يكن أساقفة الكرسى السكندرى وحدهم على هذا النهج ، بل كان الاكليروس المصرى كله على هذه الحال ، وذلك أنَّ الصلوات والقداسات والعظات الكنسية كانت تؤدى باللسان اليونانى ، والمناقشات العقدية وأسلوب الحوار فى المجامع الدينية ليس فى مصر وحدها ، بل فى النصف الشرقى كله من الامبراطورية كان يونانيا .

وظل الأمر يسير على هذا المنوال حتى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م وأقر بوجود طبيعتين فى المسيح .. وحدث الانشقاق المصرى حيث **قبلت كنيسة الإسكندرية** قرارات مجمع خلقيدونية **ورفضه بعض المصريين** تحت زعامة **دسقورس** وأعلنوا الانشقاق على كنيسة الإسكندرية وانتخبوا بطركا لكنيستهم فى السِّر كما أسلفنا الأمر سابقا . ومن ثم فقد أعلن المصريون بأنَّ اليونانية لن يستخدموها فى صلواتهم كنوع من الاحتجاج ، **ولم يكن أمامهم سوى القبطية** التى صنعها اليونان فعملوا بها كنوع من الاحتجاج الثقافى الفكرى على مذهب كنيسة الإسكندرية بخصوص مجمع خلقيدونية . .

ورغم ذلك فلم يتكلم عامة المصريين اللغة القبطية وظلت حبيسة فى جانب رجال الكنيسة المصرية لتكون الواسطة بينهم وبين المصريين . وتدلنا كتابات آباء

كنيسة الإسكندرية على أنهم كانوا يتكلمون ويكتبون باليونانية واللاتينية كلغات أولى عندهم ولم تكن القبطية بذات أهمية كبيرة عندهم .

أمَّا عن الكتابات المسيحية المكتوبة بالقبطية والتى تم اكتشافها فى كل من نجع حمادى والمنيا وغيرها من الأماكن المصرية ، فقد تبرأ منها قسس ورهبان الكنيسة القبطية الحالية ووصفوا كتبتها بأنهم هراطقة كفَّار خرجوا عن المسيحية القويمة ..!! **ولم يكتب آباء** كنيسة الإسكندرية كتبهم وأبحاثهم اللاهوتية بالقبطية . **وتنصل آباء** الكنيسة القبطية من الكتابات المسيحية القبطية التى تم اكتشافها حديثا مع أنها كتبت فى العصر المعنى بالدراسة أى فى القرن الثالث والرابع الميلادى ..!!

نخرج مما سبق أنَّ اللغة المسماة بالقبطية كانت **لغة مصطنعة** .. صنعها اليونان لتسهيل عملية اتصالهم بالمصريين ، والتبشير بالمسيحية بين المصريين . **ولم تكن فى يوم من الأيام لغة للشعب المصرى .**

ولكن إخوان المواطنة لا يقبلون بذلك القول ويُصِرُّون على أنَّ القبطية كانت لغة مصر يتكلمها جميع المصريين ، ولا دليل عندهم سوى التعصب .. يقول مؤلفا كتاب (تاريخ الأمة القبطية) وهما من المعتدلين قبل أن تصيبهما لعنة جماعة الأمة القبطية : " وبقيت الأمَّة المصرية فى مدة حكم الرومانيين محافظة على لغتها القديمة لا تتكلم إلا بها ولو أنها قد استعاضت فى كتابتها بالخط الهيروغليفى الحروف اليونانية المستعملة الآن " [1] .

قلت جمال : وهذا معناه أنَّ من يعرف القبطية يتمكن من حل شفرة اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية . وهذا القول لم يقل به إنسان عاقل ولا علماء المصريات ، فلم تُحَلّ شفرة المصرية القديمة إلا عن طريق حجر رشيد وليس عليه أثر من آثار اللغة القبطية ..!!

---

(١) .. تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية) ص ١٠٢ .

ولقد قال كثير من علماء اللغة القبطية أنها لم تكن بالقطع تطورا أو امتدادا طبيعيا للغة مصر القديمة أو تطورا طبيعيا لطرق كتابتها .. بدليل انعدام القدرة بالعديد من الأبحاث اللغوية على ارجاع اللغة القبطية إلى أصول اللغة المصرية القديمة بكتاباتها الثلاث . ولعدم التمكن من حل شفرة اللغة المصرية القديمة عن طريق اللغة القبطية . ولولا اكتشاف **حجر رشيد** لما تمكن **شامبليون** والعلماء من بعده من حل شفرة اللغة المصرية القديمة . والقارىء يعلم أنَّ حجر رشيد مكتوب بلغتين مصريتين والمقابل لهما باليونانى ولا ذكر فيه للغة القبطية . بمعنى أنَّ تفسير الكتابات المصرية القديمة كان سرا غامضا لمدة قاربت من الألفى سنة على هؤلاء القبط الذين يتمسكون فى بعض الأوقات باللفظ قبط و أقباط للدلالة على أصالة جذورهم المصرية ..

إنَّ هذا اللفظ **قبط** و **أقباط** جاء لمصر من خارجها فى أسوأ فترة من فترات تاريخها وتم فرضه إسما لشعبها فى فترة من فترات تدهورها تحت الإحتلال اليونانى والرومانى .. فاللغة القبطية لم تحفظ لمصر تاريخها أو ثقافتها لأنها لم تكن امتدادا أو تطورا طبيعيا للغة شعبها ..

وأجمع المؤرخون أنَّ لغة المجتمعات المسيحية التى بدأت تظهر لأول مرة فى مصر فى القرن الثالث الميلادى لم تكن سوى اللغة اليونانية .. أى أنَّ تلك المجتمعات المسيحية الناشئة لم تفكر أيضا فى تعلم لغة الشعب المصرى تقربا منه أو حبا له ولمصلحته ، كما لم تفكر فى بذل أى محاولات لتطوير ما أطلقوا عليه مسمى اللغة القبطية لتكون امتدادا للغات مصر القديمة . واقتصر استخدامهم لهذه اللغة المصطنعة فى توصيل المسيحية اليونانية وفلسفتها للشعب المصرى ..!!

كما لا يوجد أى دليل تاريخى على وجود أعداد مسيحية كبيرة بمصر حتى منتصف القرن الثالث الميلادى ، وبقى العنصر المسيحى فى مصر ممثلا فى أقلية تتكلم اليونانية حتى بداية القرن الرابع الميلادى . وقد نشأ هذا العنصر اليونانى المسيحى فى مصر متصلا بالثقافة الهللينية أى بالفكر والثقافة اليونانية ومتأثرا بها .

وأكبر مثال على ذلك هو أنَّ أهم مجمع مسيحى مهَّد الأمر لظهور الكنيسة القبطية وبين سائر الكنائس وهو مجمع خلقيدونية فى سنة ٤٥١ م حيث كان آباء كنيسة الإسكندرية الممثلين فيه يونانيى اللسان يتكلمون بلغة كنيسة الإسكندرية الأولى والأصلية ألا وهى اليونانية . حتى **ديسقورس** الذى قاطع المجمع وانتسب إليه مسيحيو الكنيسة القبطية فيما بعد كان يونانيا يتكلم اليونانية وليس القبطية ..!!

فالدعوة إلى المسيحية بمصر لم ترتبط بلغة مصر والمصريين ولكن بلغة مصطنعة لا يتكلمها إلا المحتل وكهنته . فبدأ منذ ذلك الوقت ارتباط جزء من تاريخ تلك اللغة الوسيطة المصطنعة بنشاط الدعوة إلى المسيحية .

يقول المؤرخ الأثرى جونسون فى كتابه " النظام المنطوق للغة الديموطيقية (The Demotic Verbal System) أنه لاحظ بعد فحصه لكثير من البرديات المكتوبة باللغة الديموطيقية ، أن هناك فرقا واضحا وكبيرا بين اللغة الديموطيقية وبين اللغة القبطية ، فلم تكن اللغة القبطية نقلا أو نسخا للكتابات الديموطيقية بأبجدية يونانية ، ولكنها كانت نسخا مختزلا لبعض ما ينطقه المصريون من لهجات مختلفة تأثرت كثيرا بلهجات ولغات أجنبية انتقلت إليهم عبر التاريخ الإستعمارى الطويل ونتيجة لإختلاطهم المتكرر بموجات الهجرة السامية المختلفة .

وقال أنَّ العوامل الاجتماعية والاستعمارية **ورغبة المحتل فى تسخير المصريين هى التى خلقت الاحتياج لاصطناع تلك اللغة القبطية** نظرا لصعوبة تعلم اللغة الديموطيقية عليه وعلى الغرباء الجدد من المسيحيين ، وأنه رغم اصطناع هذه اللغة الجديدة ، إلا أنَّ المصريين احتفظوا بلغتهم الديموطيقية وكانت هى لغة الكتابة عندهم . واستمرت كلغة منطوقة عند طبقة المحافظين وعند الطبقة البيروقراطية المصرية حتى الفتح العربى الإسلامى .

ويستمر جونسون بالقول أنَّ اللغة الديموطيقية احتفظت بنقائها وأصالتها إلى حد كبير فى صعيد مصر ، حيث لم يختلط أهله كثيرا بلغة وثقافة

الغرباء والمحتلين ، فى حين أن لغة أهالى الوجه البحرى الدارجة كان يغلب عليها كثرة استخدام الكلمات اليونانية .

ويقول **الدكتور بولس عياد عياد** وهو أستاذ فى قسم دراسة المجتمعات البشرية بجامعة كلورادو : **أنَّ اللغة القبطية لم تُصنع لتكون لغة واحدة منطوقة للشعب المصرى القديم** .. فقد اتضح من دراسة المخطوطات والنقوش القديمة أنَّ اللغة القبطية كانت نَسخاً مختزلا للهجتين رئيسيتين من لهجات الشعب المصرى القديم مكتوبا بالأبجدية اليونانية ، الأولى هى اللهجة الصعيدية الدارجة (Sahidic Dialect) والثانية هى لهجة الوجه البحرى الدارجة (Boheiric Dialect) . وكانت لهجة الوجه البحرى هى اللهجة الدارجة لسكان مدينة الإسكندرية ومدن الدلتا ووادى النطرون .. وتم بتلك اللهجة كتابة تراتيل وأناشيد الكنيسة المصرية التى مازالت تتردد حتى اليوم كطقوس فى الكنيسة المصرية ما عدا ترتيلة (hymn) واحدة . أمَّا لهجة أهالى الصعيد فقد انقسمت بعد ذلك فى اللغة القبطية المصطنعة إلى لهجة صعيدية دارجة من مدينة البهنسة (بمحافظة بنى سويف الحالية) وحتى مدينة أسيوط ، وإلى لهجة فيومية دارجة (Faiyumic) لأهالى الفيوم ، وإلى لهجة أخميمية دارجة لأهالى أخميم .. ثم حلت اللهجة الصعيدية الدارجة محل اللهجة الأخيرة بعد ذلك .. أى أنه يمكن القول فى النهاية **أنَّ اللغة القبطية كانت نسخا مختزلا بالأبجدية اليونانية للهجتين دارجتين أساسيتين للشعب المصرى القديم** .

وأنَّ مدينة الإسكندرية قد فرضت بأغلبية سكانها الناطقين باللغة اليونانية على آباء الكنيسة المصرية ولوقت طويل أن يسجلوا باللغة اليونانية كل ما كتبوه عن اللاهوت وأمور الدين ، وأن يمارسوا طقوسهم كذلك باللغة اليونانية ، إلى أن تم نسخ كل ذلك إلى اللهجات المصرية الدارجة بما يسمى باللغة القبطية بأبجديتها اليونانية مع إضافة سبعة أحرف صوتية من اللغة الديموطيقية .

أى أنَّ اللغة القبطية وبهذا الشكل الذى أوضحناه من قبل ، قد تم اصطناعها خصيصا فى البداية لتحقيق مصالح المحتل الرومانى وأغراضه الإستعمارية ، ثم

استغلها بعد ذلك المبشرون بالدين الجديد وطوروها كوسيلة اتصال بالشعب المصرى تحقيقا لمصلحتهم فى نشر الدعوة .

بما يعنى أنَّ هذه اللغة لم تصنع خصيصا من أجل مصر أو من أجل الحفاظ على تراثها القديم أو على ثقافة وحضارة أهلها منذ فجر التاريخ ، ولم تنشأ تلك اللغة امتدادا أو تطورا طبيعيا للغة مصر القديمة المكتوبة على أوراق البردى والمحفورة على المسلات وكتل الحجارة .

وأخيرا جاء عمرو بن العاص عام ٦٣٩ م فاتحا لمصر فى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، ومعه أربعة آلاف رجل فقط . أكثرهم من الصحابة وحفظة القرآن الكريم . ويقودنا المنطق البسيط إلى أنَّ هذا العدد البسيط من الرجال فى هذا الزمن الذى كان يعتمد فى الأساس على كثرة العدد فى الحروب والقتال ، لا يمكن بأى حال من الأحوال اعتباره جيشا مجيشا جاء إلى مصر للقتال والحرب واستعراض القوة .

وحتى عندما قفلت مدينة الإسكندرية أبوابها فى وجه عمرو بن العاص . وكانت قلعة للمذهب المسيحى الحاكم فى ذلك الوقت ، مفتوحة على البحر دون حصار لم ينقطع عنها المدد والدعم من البيزنطيين ، تركها عمرو بن العاص ولم يقتحمها إلى أن سمع أهلها بسماحة الإسلام والمسلمين ، وأنَّ أساس دعوتهم أن لا إكراه فى الدين . فاطمأنت قلوب أهلها وفتح أسقفها أبوابها للمسلمين فى ٨ نوفمبر عام ٦٤١ م .

ويبقى السؤال الهام جدا والذى يبحث عن إجابة معقولة ..؟؟

إن كانت مصر قد رضخت تحت احتلال قاهر متسلط لأكثر من ألف ومائة سنة إلى أن دخلها الإسلام عام ٦٤١ م ، وتعرضت خلال هذا الزمن الطويل لضغوط قاسية ومحاولات عديدة لفرض ثقافة البطالمة الهللينية ولغتهم اليونانية ، ثم تعرضت للإبتزاز والقهر والهوان وسوء المعاملة تحت الحكم الرومانى والبيزنطى . وتعرض مسيحيوها إلى قهر إخوانهم فى الدين أقصد قهر آباء كنيسة الإسكندرية ..

وكانت اللغة اليونانية هى لغة البلاد الرسمية المفروضة على مصر خلال كل هذا الزمن ولأكثر من ألف سنة متصلة . ومع ذلك كله صمد الشعب المصرى الأصيل ولم يستخدم اللغة اليونانية وأبجديتها كما استخدمها المسيحيون الجدد . واحتفظ بلغته وسجل بها وبأبجديتها كل شؤونه حتى دخل الإسلام البلاد ..

فما هى المعجزة التى جعلت الشعب المصرى يتخلى عن لغته وأبجديته وينطق لغة القرآن ويكتب بالأبجدية العربية وتُعَرَّب الطقوس المسيحية والصلوات . حتى أنَّ مؤرخيهم وكتابهم كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية وتسموا بأسماء عربية أمثال سعيد بن البطريق وابن بكر وأولاد العسال وغيرهم ..!!؟

من الغباء أن يقول البعض أنه بسبب قهر المسلمين العرب لهم .. لقد تعرض المصريون من قبل لظلم وقهر لاحدود لهما أكثر من ألف عام متصلة وتمسكوا بلغتهم وبأبجديتها .. **إنه سؤال** يحتاج إلى باحث متخصص ومحايد يعيد قراءة التاريخ من جديد فقد تعرض للأسف تاريخ مصر وتاريخ الإسلام فيها إلى كثير من الحقد والتزييف والتشويش ، ومازالت الحملات المسعورة ضد التاريخ المصرى مستمرة . نحتاج **لباحثين مصريين** وليس إلى باحثين أقباط ليقولوا لنا الحقيقة تحت شعار الأمانة العلمية وحب مصر .

قلت جمال : تلك قراءة سريعة وملخص مركز حول ما يُسمى باللغة القبطية والأقباط ، والحملة المسعورة من أتباع الكنيسة القبطية ضد الإسلام والمسلمين المصريين [1] .

---

(١) .. تم جمعه وتصويبه من عدة كتب ومراجع من أهمها موسوعة **سليم حسن** ، وبحث رائع من **المهندس عاطف هلال** منشور على شبكة المعلومات الدولية فله من الله ما يستحق بما أدى لخدمة مصرنا الحبيبة . وإن كان بمقالته خلط شديد ومفاهيم خاطئة عن مسيحى مصر وكنيسة الإسكندرية حيث لم يفرق بين الكنيستين القبطية والإسكندرانية ويفصل بين عقيدتيهما ، وهو معذور فليس من المتخصصين فى البحث عن المسيحية وكنائسها . فأصلحت ما تم اصلاحه من المهمات وتركت الهنّات . فله منى الشكر والإعتذار **لما نقلت عنه** بعد إصلاح الخلل وما قمت به من تحرير المصطلحات . **وله الفضل والسبق فى الفكرة** .
والموضوع يحتاج إلى كتاب كامل شامل واف عن القبط والأقباط واللغة القبطية والتاريخ القبطى المزعوم . ربما إن كان فى العمر بقية قمت بذلك العمل بإذن الله تعالى . وإن كانت الأخرى فهى أمانة أمام الباحثين المصريين ليكتبوا ذلك الكتاب ويُبيّنوا للناس الحقيقة .

وقبل الختام أشير بلمحة سريعة إلى ضياع الهوية المصرية عند مَن يلبسون قناع القبطية .. فالمصرى مصرى الجنسية مهما كانت ديانته .. فلم تُغيِّر عقيدته الدينية جنسيته ، فلا المسيحية ولا الإسلام غيرا من جنسيته فهو دائما مصرى الجنسية وإن اعتز بديانته مهما كانت ..

أنظروا مثلا لأسماء المصريين تجد فيهم نجيب وفهيم وبرعى وبيومى ونظير ونصيف وعماد وجمال و ... الخ . وتلك أسماء مصرية لا تحوى بين طياتها ديانة أصحابها فمنها المسلم ومنها المسيحى على السواء ، ولكن عندما يلتحق بعض إخوان المواطنة بالسلك الكهنوتى القبطى تتغير الأسماء مباشرة إلى أسماء يونانية **كأنَّ مسيحية الأقباط حكر على اليونان** .

فبنظرة سريعة إلى أسماء القسس والرهبان الأقباط الحاليين نجدها يونانية بينما أسماء إخوانهم من القسس الإنجيليين المصريين تظل كما هى صفوت ورضا وعدلى وصموئيل ..!! فلماذ يتغير اسم نفس الشخص ثلاث مرات من **نظير** إلى **أنطونيوس** ثم إلى **شنودة** ..!!؟ فالأول مصرى عادى لا غبار عليه ، أمَّا الثانى فهو يونانى عريق تلبس به عندما صار راهبا . والثالث قبطى اللغة معناه المُخبر عن الإله أى بمعنى النبىّ الذى يُكلِّمُ المصريين باللغة المُصنَّعَة إيَّاها ..!!

ومن أمثلة ضياع الهوية عند المسيحيين الأقباط الولع الشديد بأسماء الفراعنة مثل **رمسيس** و **مينا** و **إيزيس** وغيرهم .. كأنَّ هذه الأسماء تجعلهم مصريين وفى الحقيقة أنها تدل على ضياع الهوية والدين معا ، لأنهم لبسوا قناع المستعمر اليونانى وقالوا بقولته للمصريين أنهم قبط وأقباط ..!!
ومنهم من تضيع هويته فى خضم الأسماء الأجنبية مثل **موريس** و **لويس** ويترك الأسماء المصرية **عويس** و **عتريس** ..!! فلا هو مصرى ولا هو أوروبى ..!!

فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون

كنيسة المسيح عليه السلام والصخرة

نظرا لتعدد الكنائس ولقول كل كنيسة بأنها كنيسة المسيح ، فمن الواجب أن أبيِّن للقارىء أين كنيسة المسيح التى أراد أن يبنيها على الحجر الذى رفضه البناؤون . ولم يُعط لأتباعها اسما معينا لا مسيحيين ولا نصارى ولا غيرها من أسماء وُجِدت فيما بعد . وإنما أعطى اسما مُحَدَّدا لكنيسته .

فبيَّن المسيح عليه السلام الاسم الحقيقى لكنيسته التى كان يود أن يبنيها فقال عليه السلام حسب نصّ إنجيل مرقس (١١ : ١٧) " أما كتب أنَّ بيتى **بيتا للصلاة** يُدْعى عند جميع الأمم " . فاسمها عند جميع الأمم " **بيت للصلاة** " أى **مسجدا** وليس كنيسة العربية ولا إكلسيا اليونانية ولا تشيرش الإنجليزية ، فلا يوجد معنى **بيت للصلاة** فى تلك الكلمات .

فالغرض الأساسى من كنيسة المسيح هو أن تكون **بيتا للصلاة** فقط . ولا يوجد فى العربية كلمة تشير إلى ذلك المعنى إلا كلمة **مسجد** . ولذلك عبر الإنجيلى اليونانى مرقس مترجما الكلمة الآرامية التى نطقها المسيح بلسان قومه إلى كلمة (οικος) اليونانية والتى تنطق أويكس (oy'-kos) ورقمها (٣٦٢٤) فى القواميس الكتابية وهى فى اليونانية بمعنى معبدا أو بيتا للعبادة . ولم يقل مرقس إكلسيا (εκκλησιαν) أى الكلمة اليونانية التى بمعنى كنيسة ..
فهل فهمنا الفرق ..!!؟

أمَّا عن **المسجد** الإسلامى فهو فى أصل معناه **بيت للصلاة** يُدْعَى . فكلمة السجود - والتى هى أهم مَعْلم يشير إلى الصلاة - توجد فى الاسم مسجد . وتلك إشارة إلى أهم شىء فى العبادة وهى الصلاة ، ذلك المعنى الذى نفتقده فى كلمة كنيسة أو فى جميع مرادفاتها فى لغات العالم المختلفة . وأقرب مرادف فى اليونانية لكلمة مسجد العربية هو كلمة (أويكس οικος) التى ذكرها الإنجيلى مرقس أول كتبة الأناجيل تدوينا . والكنيسة ليست ترجمة لكلمة أويكس باتفاق .

ونشاهد ذلك المعنى التقريرى من رسول الإسلام ﷺ حين بيَّن لصحابته أنَّ المعنى الصحيح لكلمة **كنيسة** هو كلمة **مسجد** . وذلك فى الحديث الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه (ج ٢ / ص ٢١٤) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ **كَنِيسَةً** رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ " أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ العَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ **مَسْجِدًا** وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ " . فقالت أم سلمة **كنيسة** وصحح لها النبىّ العربىّ الأمّىّ ﷺ القول وقال لها **مسجد** [1] . فهل كان النبىّ ﷺ يعرف اليونانية - وهو الأمّىّ - حتى يُصحح الترجمة أم عن طريق الوحى تكلم ..!!؟

فالمسيح عليه السلام كان يتكلم عن بيت للصلاة أى مسجدا .. وتكلم نبىّ الإسلام عن المسجد ، وكان أول شىء فعله عقب الهجرة إلى المدينة مباشرة هو بناء المسجد . فلنحفظ ذلك المعنى جيدا لحين الكلام عن نص إنجيل متى التالى .

فإذا جئنا إلى إنجيل متى الذى أخذ عن مرقس ونقل عنه ، لنتعرف على تحريف كلمة **مسجد** التى تشير إلى بيت الصلاة الذى كان المسيح يَوَدُّ أن يبنيه أثناء بعثته .. فقال المسيح عليه السلام فيما رواه متى فى إنجيله (١٦ : ١٨) من قول المسيح لبطرس كبير تلاميذه :

" وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً : أَنْتَ ... [**بُطْرُسُ**] ...
وَعَلَى هَذِهِ ... [**الصَّخْرَةِ**] ... أَبْنِي .... [**كَنِيسَتِي**] ...
وَأَبْوَابُ الجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا " .

ثلاث كلمات **بُطْرُسُ** (πετρος) ؛ **الصَّخْرَةِ** (πετρα) ؛ **كَنِيسَتِي** (εκκλησιαν) بُنِيَ عليهم مفهوم النص الإنجيلىّ ..

---

(١) .. لقد كان نبىّ الإسلام ﷺ قرآنا يمشى على الأرض .. نلاحظ ذلك من قصة أصحاب الكهف والرقيم التى ذكرها الله تعالى فى قرآنه إلى ذلك المعنى فى قوله تعالى حكاية عن القوم الذين بُعِث فيهم الفتية " أصحاب الكهف والرقيم " ﴿ قال الذين غَلَبُوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴾ . وقد ثبت لى بالدليل القاطع أن هؤلاء القوم كانوا من نصارى العرب (راجع التفصيل فى كتابى أصحاب الكهف والرقيم) .

كيف نفهم ذلك النصّ وتلك المقولة التى فسَّروها تفسيرا مُضْحِكا ..!؟

فماذا قال المسيح عن تلميذه ..!؟

وماذا قال عن البيت الذى يريد بناءه ..!؟

وماذا قال عن نفسه ..!؟

وما معنى الكلمة اليونانية التى ترجموها إلى كنيسة ..!؟

ومفتاح الإجابة نجده مفقودا بين شيئين :

- بين [**بُطْرُسُ**] و [**الصَّخْرَةِ**] ، لأنَّ بطرس معناه حجر ، أى أن نصف الإجابة متوقف على التفرقة بين **الحجر** و **الصخرة** .. وللقارىء أن يقول إنَّ أهم جزء فى الإجابة مرهون على معرفة مَا هى هذه **الصخرة** ..!!

- ونصف الإجابة الثانى متوقف على التفرقة بين كلمة بيت الصلاة (أويكس οικος) وبين كلمة (إكلسيا εκκλησιαν) التى لا تفيد أى معنى من معانى العبادة - وخاصة الصلاة - والتى ترجموها إلى كنيسة بالعربية .

لقد غابت الاجابة عن المسيحيين ألفى سنة بقولهم أنَّ الصخرة هى بطرس ..!! وأنَّ بيت الصلاة هو الكنيسة ..!!

هناك أشياء هامة لا بد من معرفتها والتفريق بين بطرس والصخرة وبين بيت الصلاة والكنيسة .. وما معنى كلمة كنيسة بلغة المسيح إن أردنا أن يكون معناها بيتا للصلاة ..!؟ ومَن هو الذى قام ببناء ذلك البيت (علما بأنَّ المسيح قال سوف **أبنى** ولم يقل **بنيت**) ..!؟ ولم يبن المسيح الكنيسة ولا بيت الصلاة أيام بعثته .

تلك حقيقة لا بد من اجلائها للقارىء وعدم نسيانها . لأنَّ الكثيرين من إخوان المواطنة يقولون هذه كنيستى وتلك ليست كنيستى ، مع تعدد الكنائس والمنتمين إليها ، وقد سبق بيان المعنى الأصلى لكلمة كنيسة فى اليونانية بأنها بمثابة " مجلس الشعب " الذى تتخذ فيه تشريعات البلاد وقوانينها .. ولا يزال قول إخوان المواطنة وقسيسيهم يتردد بيننا " **شعب الكنيسة** " ..!!

هل يستطيع مسلم أن يقول عن بيت من بيوت الله " هذا بيتى " ..!؟ أو أن يقول شيخ عن المصلين بالمساجد هؤلاء شعب المسجد ..!!؟
هل وصلت الفكرة للقارىء ..!؟ انفصال تام عن أهل البلد ..!!

لقد اختلط معنى بيت الصلاة مع البيت الذى تتخذ فيه القرارات وتسن فيه تشريعات الشعب ..!! ألم يقل المسيح فى إنجيل مرقس : " أنَّ بيتى **بيتا للصلاة** يُدْعى عند جميع الأمم " فقال بيتا للصلاة ولم يقل مجلس شعب أو مجلس شورى أو حتى كنيست كما فى إسرائيل ..!! وقد سبق بيان أنَّ كلمة كنيسة فى اليونانية بمعنى مجلس الشعب أو اسم لأىّ مجلس آخر تتخذ فيه القوانين والتشريعات .

فالنصّ الإنجيلى يقول أنَّ المسيح هو الذى سيبنى الكنيسة وأنَّ الكنيسة كنيسته **هو** لا كنيسة غيره . والكنيسة هنا تُدعى بيتا للصلاة كما بيَّن المسيح . ولن يبنى ذلك البيت ـ أى المسجد ـ على رمال أو تربة طينية وإنما سيبنى على صخرة صماء ، صخرة إيمان قوى ، فما هى تلك الصخرة الإيمانية ..!؟

يقول المسيحيون سريعا وبدون تفكير .. الصخرة هى **بطرس** .
فالباني عندهم هو المسيح و**المَبْنَى** هو الكنيسة و**المَبْنِىّ عليه** هو بطرس ..!!
كيف يستخرجون ذلك المعنى المضحك من عبارة المسيح " أَنْتَ بُطْرُسُ . وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا " ..!!؟

فهل الصخرة التى ستقام عليها الكنيسة هى بطرس ..!!؟ وهل قال المسيح أنت بطرس و**عليك** سأبنى كنيستى ..!!؟
وعلى ذلك المفهوم الخاطىء ظهر بابوات الفاتيكان وكل منهم يَدعو نفسه **فيكار بطرس** أى المتحدث الرسمى عن بطرس أو نائب بطرس . ثم تحول اللقب فيما بعد إلى **فيكار المسيح** أى نائب المسيح على الأرض أى الممثل الرسمى والمتحدث باسمه ..!! وهنا نجدهم يتكلمون عن الكنيسة بأنها جسد المسيح على الأرض ..!!

ومِن ثَمَّ فقد تحول المعنى عندهم بدلا مِن بناء الكنيسة على شخص بطرس (الحجر) إلى بناء الكنيسة على إيمان بطرس (الحجر) ، ثم إلى الإيمان القويم

الجامع الذى كان عليه بطرس (الحجر) . ومن ذلك المعنى المستخرج قالوا بالكنيسة الجامعة أى الكنيسة الكاثوليكية ، فكلمة كاثوليك معناها الجامعة ..!!

وإلى القارىء قول الكاثوليك أثناء شرحهم لتلك الفقرة الإنجيلية كما جاء فى (*A Brief Catechism for Adults* by William J. Cogan) :

" What did Jesus do to make sure His Church would always be united ? He put one man in complete charge of His Church . Who has complete charge of the Church ? The Pope , who is the bishop of Rome and the Vicar (agent) of Christ on earth. Who is the Pope ? The Pope is the visible head of the whole Catholic Church . Who was the first Pope ? St. Peter , who was made Pope by Jesus Christ Himself . When did Jesus promise to make Peter the Pope ? Several months before He died . " *Thou art Peter , and upon this rock I will build my Church* " (Matthew 16:18) .

فهل انتهى تفويض المسيح لبطرس - بعد موت بطرس فى روما - حسب ذلك المفهوم الخاطىء..!؟ لا .. لا .. لم ينته التفويض حسب قولهم . فقد انتقل تفويض المسيح لبطرس إلى بابوات الفاتيكان من بعده . فتقلد الأمر رجل منهم يُدعى لينوس ومِن بعده جاء كليتوس ثم جاء كليمنت الرومانى ثم إلى آخَر وآخر .. وهكذا لمدة ألفى سنة مضت ..!!

وعلى ذلك فالكاثوليك يؤمنون بأنَّ بطرس هو البابا الأول وهو الصخرة التى أقيمت عليها الكنيسة [1] ..!!

---

(١) .. تمت الاستفادة هنا من الكتاب الالكترونى :
A Brief Catechism for Adults by William J. Cogan, p. 60.

وحقيقة الأمر أنَّ المسيح لم يعيِّن بطرس ولا غيره ليكون بدلا عنه أو ممثلا له على الأرض .. لقد حَدَّدَ المسيح وبيَّن جيدا مَن سيأتى بعده وله تكون الطاعة فقال ﷺ كما فى إنجيل يوحنا " لكِنِّى أقُولُ لكُمُ الحَقَّ إنَّهُ خَيْرٌ لكُمْ أنْ أنْطَلِقَ لأَنَّهُ إنْ لمْ أنْطَلِقْ لا يَأْتِيكُمُ **المُعَزِّى** ولَكِنْ إنْ ذَهَبْتُ أرْسِلُهُ إلَيْكُمْ . ومَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ العَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى برٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ . أمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ بى . وَأمَّا عَلَى برٍّ فَلأَنِّى ذَاهِبٌ إلَى أبِى لا تَرَوْنَنِى أيْضاً . أمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هَذَا العَالَمِ قَدْ دِينَ . إنَّ لِى أُمُوراً كَثِيرَةً أيْضاً لأقُولَ لكُمْ ولَكِنْ لا تَسْتَطِيعُونَ أنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ . **وَأمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الحَقِّ** فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إلَى جَمِيعِ الحَقِّ لأنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورِ آتِيَةٍ . ذَاكَ يُمَجِّدُنِى لأنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِى وَيُخْبِرُكُمْ كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِى . لِهَذَا قُلتُ إنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِى وَيُخْبِرُكُمْ . بَعْدَ قَلِيلٍ لا تُبْصِرُونَنِى ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أيْضاً تَرَوْنَنِى لأنِّى ذَاهِبٌ إلَى الآبِ " (إنجيل يوحنا ١٦ : ٧ ـ ١٦) .

وقال ﷺ أيضا " وَأنَا أطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ **مُعَزِّياً آخَرَ** لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إلَى الأبَدِ . **رُوحُ الحَقِّ** الَّذِى لا يَسْتَطِيعُ العَالَمُ أنْ يَقْبَلَهُ لأنَّهُ لا يَرَاهُ وَلا يَعْرِفُهُ وَأمَّا أنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ " (يوحنا ١٤ : ١٦ ـ ١٨) .

لقد اختار المسيح **البارقليط** روح الحق . وقال بارقليط **آخر** مثل المسيح ولم يقل بطرس ، ولم يوصف بطرس فى أى موضع من الكتاب بأنه بارقليط أو روح الحق أو حتى معزيا ليتمم رسالة المسيح ويقول لهم الحق كله ..!!

ومن قول بولس فى (أفسس ١ : ٢٠ ـ ٢٢ ؛ كولوسى ١ : ١٨) نسأل القارىء المسيحىّ : مَن هو رأس الكنيسة ..!!؟ هل هو بطرس ..!!؟

ومِن قول بولس فى أفسس (٤ : ٥) كم هناك من أرباب بالكنيسة ..!!؟ فالكنيسة ليس لها إلا رب واحد . هو بانيها فكيف نوفق القول ونفهمه ..!!؟

ونلتزم بقول المسيح بألا نقول **بابا** لأى أحد على الأرض إلا للأب الوالد حقيقة . فقد نهاهم المسيح عن قولهم **بابا** بمفهومها المجازى لغير الآب الذى فى

السماء فقال لهم : " **وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ** " (متى ٢٣ : ٩) .

والأدهى والأمَرّ أنهم يقولون **قداسة البابا** وذلك وصف لا يقال إلا لله تعالى . انظروا إلى قول المسيح وهو يناجى ربَّهُ " **أَيُّهَا الآبُ القُدُّوسُ** احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الذى أَعْطَيْتَنِي " (يوحنا ١٧ : ١١) . فقولهم **قداسة البابا** هو هو معنى **الآب القدُّوس** بدون فرق .. فهل أنتم منتهون يا إخوتى فى المواطنة ..!!؟

وبعد تلك الجولة نعود إلى سؤالنا مَن تكون تلك الصخرة التى سيبنى عليها **المسجد** (بعد تصحيح الترجمة) ..!!؟

لقد صرفهم بولس عن الصخرة الحقيقية بقولته الصوفية " وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَاباً وَاحِداً رُوحِيّاً ، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ **صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ** تَابِعَتِهِمْ **وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ** " (١ كورنتوس ١٠ : ٤) . وقال : " **وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ** " (أفسس ٢ : ٢٠) . فهل بنى المسيح مسجده ـ الذى كان يَوَدُّ بناءه ـ على نفسه ..!!؟

لقد قال المسيح لهم " أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ : **الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ** . مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا " (متى ٢١ : ٤٢) . وحتى بطرس نفى عن نفسه أن يكون هو الصخرة فقال " وَأَمَّا لِلَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ **فَالْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ** هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ " (١ بطرس ٢ : ٧) . فالحجر أو الصخرة التى سيقام عليها بيت الصلاة ليس المسيح أو حتى بطرس ، وإنما هو الحجر الذى رفضه البناؤون ..!!

لقد تلاعب كاتب إنجيل متى فى الفقرة (١٦ : ١٨) بكلمتين يونانيتين هما (**بتروس** πετρος) كاسم علم للتلميذ سِمْعَان و كلمة (**بترا** πετρα) كاسم للصخرة .. مع العلم بأنَّ المسيح عليه السلام لم يتكلم اليونانية حتى يقول (**بتروس** πετρος) أو (**بترا** πετρα) .

وكلمة **بتروس** .. معناها حجر ، والحجر قطعة من صخرة . والحجر قطعة صغيرة أو كبيرة تحمل وتنقل من مكان لآخر خلاف الصخرة الثابتة فى مكانها .

و **بترا** .. معناها صخرة كبيرة ثابتة . هذا هو الفرق بين الكلمتين . وبيت الصلاة سيبنى على **صخرة** ثابتة وليس على **حجر** متنقل .

والمسيح لم يقم ببناء بيت للصلاة فى حياته وأثناء بعثته ولكنه قال **سأبنى** وبيَّن الصخرة بقوله إنها هى " **الحَجَرُ الَّذِى رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ** " . إنه حجر فى بناء قوم المسيح عليه السلام من بنى إسرائيل وليس بحجر يونانىّ . أى أنه حجر فى المبنى الذى أقامه أنبياء بنى إسرائيل . إنه حجر الزاوية ورأسها ، الحجر الذى رفضه بنو إسرائيل ، الحجر الذى به تكتمل رسالات الله إلى الناس . إنه نبىّ رفضه بنو إسرائيل ..!!

ولنسمع أقوال المسيح عليه السلام بالتفصيل فى تلك القضية كما ذكرها الإنجيلى متى فى **مَثَل الكرامين** القتلة الذى ضربه المسيح عليه السلام لقومه من بنى إسرائيل (٢١ : ٣٣ ـ ٤٤) من نسخة الآباء اليسوعيين العربية : قال المسيح عليه السلام مخاطبا أحبار اليهود : " اسمعوا مثلا آخر : غرس رب بيت كرما . وسيَّجَه وحفر فيه معصرة وبنى بُرْجا وآجره بعض الكرامين ثم سافر . فلما حان وقت الثمر ، أرسل خدمه إلى الكرامين ليأخذوا ثمره . فأمسك الكرامون خدمه فضربوا أحدهم وقتلوا غيره ورجموا الآخر . فأرسل أيضا خدما آخرين أكثر عددا من الأولين ففعلوا بهم مثل ذلك . فأرسل إليهم ابنه آخر الأمر وقال : سيهابون ابنى . فلما رأى الكرامون الابن قال بعضهم لبعض هو ذا الوارث . هلمَّ نقتله ونأخذ ميراثه . فأمسكوه وألقوه فى خارج الكرم وقتلوه . فماذا يفعل رب الكرم بأولئك الكرامين عند عودته ..؟

قالوا له : يهلك هؤلاء الأشرار شر هلاك ويؤجر الكرم كرامين آخرين يؤدون إليه الثمر فى وقته . قال لهم يسوع : أمَا قرأتم قط فى الكتب : " **الحجر الذى رذله البناؤون هو الذى صار رأس الزاوية** . من عند الرب كان ذلك وهو عَجَبٌ فى أعيننا . **لذلك أقول لكم : إنَّ ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمَّة تثمر ثمره . من وقع على هذا الحجر تهشم ، ومن وقع عليه هذا الحجر حطمه** " . فلما سمع عظماء الكهنة والفريسيون أمثاله أدركوا أنه يُعَرِّضَ بهم فى كلامه فحاولوا أن يُمْسكوه ولكنهم خافوا الجموع لأنهم كانوا يعدونه نبيا " .

قلت جمال : نجد فى هذا المثل الرائع أنَّ صاحب هذا الكرم هو الله سبحانه وتعالى ، وأنَّ معنى **ملكوت الله هنا هو دين الله** . قد شبه بهذا الكرم المجهز بكل ما يلزم للانتفاع به . وأنَّ هذا الكرم - الذى هو دين الله - قد أحيط بسياج من أحكام الشريعة وحدودها . والكرامون هنا هم بنو إسرائيل ، وعلى رأسهم الأحبار والرؤساء الذين استحفظوا على دين الله ووصاياه [1] . وأنَّ عبيد صاحب الكرم هم الأنبياء . وأنَّ ابن صاحب الكرم كناية عن المسيح عليه السلام [2] .

لقد مكث بنوإسرائيل مدة طويلة متمتعين بنعم الله عليهم التى لا تحصى ولا تعد . ومن أهمها إكرامهم بدين الله المنزل على موسى عليه السلام واختصاصهم بالأفضلية على العالمين ، ولكنهم انحرفوا عن الطريق القويم وقالوا بأنهم أبناء الله وأحباؤه . فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم الأنبياء تترى ليعيدوهم إلى حظيرة الايمان الحق " فجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا " .

وأُشربت قلوبهم بالعصيان والجحود وظنوا أنهم الأوصياء على الدين بما استحفظوا فخانوا وغدروا كما قال بولس : " واستؤمنوا على كلام الله ووصاياه " (رومية ٣ : ٢) . فأرسل الله إليهم خاتمة أنبيائهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فكفروا به وهموا به كما فعلوا بالأنبياء السابقين . وهنا نجد أنَّ المسيح عليه السلام أقام الحجة على أحبار اليهود من قولهم حين ألزمهم بقوله " فماذا يفعل صاحب الكرم مع هؤلاء الكرامين ..!؟

فأجابوه : يهلكهم هلاكا ثم يعطى الكرم إلى كرامين آخرين . فألزمهم بقولهم الذى قالوه : " **لذلك أقول لكم إنَّ ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمَّة تعمل أثماره** " . فواجههم عليه السلام بحقيقة المثل المضروب فى حقهم . إنَّ ملكوت الله وكل امتيازاته لكم سوف تنزع منكم وتعطى لأمَّة أخرى .

---

(١) .. يقول بولس فى رسالته الرومية (٣ : ٢) : " لأنهم استؤمنوا على أقوال الله فخانوا وغدروا " .

(٢) .. يقول ديفد هل (David Hill) فى شرحه لإنجيل متى ما ترجمته : " أنَّ الكنيسة الأولى قد اعتبرت الابن فى هذا المثل هو المسيح لكن الرأى الاقتراحى الأصلى فى المثل أن الابن يمثل ببساطة آخر رسل الله إليهم " (تفسير القرن العشرين - إنجيل متى ص ٢٩٩) .

قلت جمال : وتلك شهادة نعتز بها نحن المسلمين . فالمسيح عليه السلام كان حقا آخر رسل الله إليهم كما نؤمن به .

ورغم وضوح المعنى لقومه من بنى إسرائيل إلا أنَّ الأتباع المسيحيين لا يفهمون ذلك المثل لسيطرة التقاليد الكنسية على العقول والقلوب .

" **إنَّ ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمَّة تثمر ثمره** " والملكوت هنا هو دين الله ورسالته إليهم . وهم يعلمون جيدا أنَّ هذه الأمَّة هى المذكورة فى سفرى التثنية (٣٢ : ٢١) وفى أشعيا (٦٥ : ١) .

ولكنهم هنا فى ذلك الموضع يفسرون الأمَّة بالأمم بصيغة الجمع ..!! ولا يُفسِّرون معنى الملكوت لأنَّ المُلك والسلطان الذى قالوا به لم يكن مع بنى إسرائيل حتى يُنزع منهم ..!! يقول متى هنرى فى شرحه لهذه الفقرة ما نصه : " (ويعطى لأمَّة) أى للعالم الأممى . (تعمل أثماره) أولئك الذين لم يكونوا شعبا ، وكانوا غير مرحومين أصبحوا أعزاء السماء .." [1] .

قلت : ولكن قوله أولئك الذين لم يكونوا شعبا يفضحه ويدل على أنه يتكلم عن الأمَّة الأمِّية الجاهلة ..!!

وهناك من يتقيد منهم بالمعنى الحرفى ولا يريد أن يفهم مثل الذى قال فى معنى قول المسيح عليه السلام لأمَّة تؤدى ثمرا " لا نقصد هنا الأمم أى الوثنيين . بل مجموعة تشبه الأمَّة المقدسة التى ورد ذكرها فى خروج (١٩ : ٦) . وسيسلم ملكوت الله بعد اليوم إلى أمَّة مقدسة جديدة هى الكنيسة " [2] ..!!

قلت جمال : ومنذ متى كانت الكنيسة أمَّة ..!؟ وإن كانت جدلا أمَّة فأى الكنائس يقصد ..!؟ وهل يعترفون بأنَّ الكنيسة هى أمَّة الحمقى عديمة الفهم المنزوعة البصيرة كما وردت صفاتها فى سفر التثنية (٣٢ : ٢١) ..!؟

لقد استؤمن اليهود على أقوال الله فخانوا وغدروا (رومية ٣ : ٢) . فانتهت وكالتهم وامتيازاتهم ، وانتقلت النبوة والرسالة إلى أمَّة العرب . لتكون هى حاملة لكلام الله وكتابه الكريم .

---

(١) .. شرح إنجيل متى / ترجمة القمص مرقس داود ج٢ ص ٢٣٦ .

(٢) .. دراسة فى الإنجيل كما رواه متى ص ٦٣ للأب اسطفان شربنيية .

جاء فى التفسير الحديث لجمهرة من دكاترة القسيسين : " أنَّ مجال عمل الله الخلاصى لم يعد فى نطاق أمَّة إسرائيل ، **بل فى أمَّة أخرى** . وليس المقصود هنا الأمم لأنَّ هذا يستلزم استخدام الجمع (ethnesin) وليس الفرد (ethnei) " [1] .

قلت : وهكذا لن تجد اتفاقا بين أقوالهم لأنها كلها تلفيق وتكذيب . وكما نقول فى المثل الشعبى (الكدب مالوش رجلين) ..!!

فإن أوقعنا الاسقاط التاريخى على الواقع الملموس والمشاهَد ، سوف نجد هذه الأمَّة واضحة جلية بدون تدخلات كنسية عفى عليها الزمان . إنها البركة الإلهية الممنوحة لاسماعيل وذريته . والتى تحققت فى أجل صورها بالبعثة الإسلامية وظهور النبىّ الإسماعيلى ﷺ .

جاء فى سفر التكوين (١٧ : ٢٠) قول الله لإبراهيم ﷺ " **وأمَّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمَّة كبيرة** " . وقال أيضا فى التكوين (٢١ : ١٣) " **وابن الجارية أيضا سأجعله أمَّة لأنه من نسلك** " . وفى التكوين (٢١ : ١٨) " **سأجعله أمَّة عظيمة** " .

وكثر نسل إسماعيل وكونوا قبائل متفرقة سكنت فى أرض شبه الجزيرة العربية وكونوا ما يشبه الشعب وما هو بشعب ، ولم يصيروا أمَّة واحدة أبدا إلا من بعد ظهور الإسلام . فكانت الأمَّة الكبيرة التى استأجرها الله على كرمه وزرعه يؤدون ثمره يوم حصاده ﴿ **ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه . يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ (٢٩ / الفتح) .

وأمَّا عن قول المسيح ﷺ للأحبار " أمَا قرأتم قط فى الكتب : **الحجر الذى رفضه البناؤن هو الذى صار رأس الزاوية** . من عند الرب كان ذلك وهو عجب

---

(١) .. التفسير الحديث / إنجيل متى ص ٣٤٤ .

فى أعيننا " . فإنه يحيلنا إلى سفر المزامير (١١٨ : ٢٢ ـ ٢٤) لنجد النصّ فيه والذى منه استمد المسيح عليه السلام قوله لهم بنزع الملكوت منهم وإعطائه لتلك الأمَّة .

والمسيح عليه السلام يذكرهم هنا بما هو مكتوب عندهم . فأنبياء بنى إسرائيل شُبِّهُو بأحجار استخدمت فى بناء بيت . وأنَّ البنائين اليهود قد رفضوا حجرا معينا لم يضعوه فى مكانه من البناء . ولكن ذلك الحجر هو الذى صار رأس الزاوية فى البنيان . وهذا الحجر المرفوض هو النبىّ المنتظر من نسل إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهم . شبيه موسى عليه السلام والذى هو من إخوتهم من العرب .

جاء فى سفر التثنية (١٨ : ١٨) من النسخة العبرانية : " أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به " . وجاء أيضا فى سفر التثنية (٣٤ : ١٠) ما يفيد بأنَّ ذلك النبىّ **لم يأت ولن يأت** من بنى إسرائيل . ومنعا لسوء الفهم أذكر هنا النصّ من النسختين العبرانية والسامرية . ففى العبرانية : " **ولم يقم** بعد نبىّ فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه " . وفى السامرية : " **ولا يقوم** أيضا نبىّ فى إسرائيل كموسى الذى ناجاه إلهه شفاها " .

ذلك هو النبىّ الذى رفضه بنو إسرائيل . إنه **حجر الزاوية** الذى تختم به النبوة وتتم به رسالات السماء . والغريب فى الأمر أنَّ علماء المسيحية يقولون بأنَّ المسيح هو ذلك النبىّ ، مع أنهم يرفضون نبوته عليه السلام ..!!

كما أنَّ النصّ التوراتى يصرح بأنه لن يكون من بنى إسرائيل . والمسيح يقول معلقا على ذلك بقوله " وهو عجب فى أعيننا " . لقد صار ذلك النبىّ المنتظر هو رأس الزاوية فمن الطبيعى جدا حينذاك أن يقول المسيح عليه السلام " لذلك أقول لكم إنَّ ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمَّة تثمر ثمره . **من وقع على هذا الحجر تهشم . ومن وقع عليه هذا الحجر حطمه** " .

وهذا الوصف لا ينطبق على المسيح عليه السلام بكل المقاييس . فلم يهشم أحدا ولم يحطم أحدا ، تصديقا لما جاء فى إنجيل يوحنا (١٢ : ٤٧) " وإن سمع أحد

كلامى ولم يؤمن به فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم " . ولكن النبىّ العربى الخاتم ﷺ حطم وهشم الامبراطوريتين الفارسية والرومانية لأنهما وقفتا أمام دعوته ولم يؤمنا به .

قال نبىّ الاسلام ﷺ فيما رواه عنه البخارى ومسلم فى صحيحيهما :

" إنَّ مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ..!؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " . وقال ﷺ : **" أنا دعوة أبى إبراهيم وبشارة عيسى "** [1] .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أنَّ الأرض يرثها عبادى الصالحون** ﴾ (١٠٥ / الأنبياء) . وورث نسل إسماعيل الأرض الموعودة - من النيل إلى الفرات - ولم يرثها نسل إسحاق ويعقوب . والواقع يشهد ، والعالم يشهد . ولم يرفض بنو إسرائيل إلا النبىّ المبعوث من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام . فهل بعد ذلك البيان بيان ..!!؟

---

(١) .. حديث صحيح رواه كل من أحمد والحاكم والبيهقى عن العرباض بن سارية . راجع تخريج أحاديث مشكاة المصابيح للألبانى ج٣ ص ١٢٧ .